رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

دكتور
نزيه عبد الحميد السيد فراج
مدرس البلاغة والنقد
بكلية اللغة العربية - جامعة الأزهر

أسلوب الالتفات

دراسة تاريخية فنية

حقوق الطبع والنشر محفوظة للمؤلف

الطبعة الأولى

١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

دكتور
نرية عبد الحميد السيد فراج
مدرس البلاغة والنقد
بكلية اللغة العربية - جامعة الأزهر

أسلوب الالتفات

دراسة تاريخية فنية

حقوق الطبع والنشر محفوظة للمؤلف

الطبعة الأولى

١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م

بسم الله الرحمن الرحيم

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

المقـــدمة

الحمد لله رب العالمين . والصلاة والسلام على أشرف المرسلين . سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه أجمعين .

وبعد :

فهذه دراسة لأسلوب الالتفات في اللغة العربية وفي القرآن الكريم . وقد تناولت هذه الدراسة أمرين اثنين :

أحدهما : دراسة أسلوب الالتفات دراسة تاريخية ، تتبعت فيها تطور هذا الأسلوب تطوراً تاريخياً عبر مرحلة زمنية طويلة ، بدأت من أوائل القرن الثالث الهجري ، أي منذ أن ظهر هـــذا المصطلح على يد الأصمعي (٢١٦ هـ) ، فهو يعد أول من ذكر كلمة « الالتفات » كما يرى كثير مـــن الدارسين ، ثم سارت هذه الدراسة بعد ذلك ترصد تطور هذا الفن البلاغي في دراسات علمائنا المتقدمين ، بدءاً من ابن قتيبة (٢٧٦ هـ) في كتابه « تأويل مشكل القرآن » ، وانتهاء بالخطيب القـزويني (٧٣٩ هـ) في كتابه « الإيضاح » .

وقد تبين لي من خلال هذه الدراسة أن أسلوب الالتفات كغيره مـن

فنون البلاغة الأخرى ، قد خضع لسنة التدرج والتطور من حالة إلى أخرى ، إلى أن تحددت معالمه ، ووضح مفهومه ، واستقل بضوابط تميزه عن غيره ، فقد بدأ مختلطاً بغيره من فنون البلاغة كالتذييل والاعتراض ، ويتضح ذلك لمن يبحث عن مفهوم الالتفات عند عبد الله ابن المعتز (٢٩٦ هـ) فى كتابه « البديع » ، وقدامة ابن جعفر (٣٣٧ هـ) فى كتابه « نقد الشعر » ، وأبى هلال العسكرى (٣٩٥ هـ) فى كتابه « الصناعتين » ، والباقلانى (٤٠٣ هـ) فى كتابه « إعجاز القرآن » ، وابن رشيق (٤٥٦ هـ) فى كتابه « العمدة فى محاسن الشعر وآدابه ونقده » .

ولم يتحدد مفهوم الالتفات ، وتتضح معالمه كفن من فنون البلاغة ، ولم تدرس صوره دراسة بلاغية كاشفة عن أسراره ، ومجالة شواهده ، ومبينة فائدته وقيمته البلاغية ، إلا على يد الإمام الزمخشرى (٥٣٨ هـ) .

أما أبو يعقوب السكاكى (٦٢٦) صاحب كتاب « مفتاح العلوم » ، فقد تأثر تأثراً واضحاً فى دراسته للالتفات بما قاله الزمخشرى فى « الكشاف » ، فقد تابعه فيما قاله فى فائدة الالتفات ، كما أخذ عنه معنى الالتفات .

وبعد السكاكى جاء ضياء الدين بن الأثير (٦٣٧ هـ) ، فدرس الالتفات دراسة تفصيلية شاملة وذلك فى كتابه « المثل السائر » . وهو يعد بحق خير من عرض موضوع الالتفات بعد الإمام الزمخشرى ، فقد عالجه بوضوح وفهم لأسراره البلاغية ، وقد تأثر كثيرا بدراسة الزمخشرى له فى الكشاف ، وأخذ عنه الكثير من تحليلاته للنصوص القرآنية .

أما العلامة العلوى (٧٤٩ هـ) صاحب كتاب « الطراز » ، فقد عقد مبحثاً لدراسة الالتفات ، وقد كان فى دراسته هذه متأثراً بالإمام الزمخشرى وابن الأثير ، ولم يأت بشىء يعتد به إلا مناقشته لابن الأثير فيما اعترض به على

الزمخشري فى القيمة البلاغية الالتفات والخطيب القزوينى (٧٣٩ هـ) درس الالتفات فى كتابه « الإيضاح » كصورة من صور إخراج الكلام على خلاف مقتضى الظاهر ، وقد أشار فى دراسته هذه إلى المذهبين المشهورين فى مفهوم الالتفات ، وهما مذهب الزمخشري والسكاكى ، ومذهب جمهور البلاغيين ، وتكلم عن صور الالتفات ومثل لها دون تحليل وشرح لتلك الشواهد ، ودون توضيح القيمة البلاغية الالتفات فيها ، الا ما ذكره من سر الالتفات فى سورة الفاتحة .

الأمر الثانى الذى تناولته هذه الدراسة هو الناحية الفنية لأسلوب الالتفات ، فهى مع تتبعها التاريخى لتطور هذا الفن لم تغفل الاهتمام بالجانب البلاغى الفنى لهذا الأسلوب ، بل ألقت الأضواء على القيمة البلاغية لأسلوب الالتفات فى أكثر من موضع ، وتناولت بالتحليل الكثير من الشواهد القرآنية ، موضحة سر وسبب العدول عن التعبير الأول إلى الثانى ، وكان ذلك أثناء دراسة أسلوب الالتفات عند الإمام الزمخشري والسكاكى وابن الأثير والعلوى .

كما تناولت فى « التمهيد » بيان حقيقة الالتفات ومعناه عند اللغويين والبلاغيين وغير ذلك من الأمور .

ولعلى أكون قد وفقت فيما أردت من عرض أسلوب الالتفات عرضاً تاريخياً فنياً .

كما أرجو أن تكون هذه الدراسة فى أحد الأقسام السبعة التى ذكرها شمس الدين البابلى .

يقول العلامه شمس الدين البابلى المتوفى سنة سبع وسبعين بعد الألف :

« لا يؤلف أحد كتاباً إلا فى أحد أقسام سبعة ، ولا يمكن التأليف فى غيرها وهى : إما أن يؤلف فى شىء لم يسبق إليه . يخترعه ، أو شىء ناقص يتمه ، أو شىء مستغلق يشرحه ، أو طويل يختصره دون أن يخل بشىء من معانيه ، أو شىء يرتبه ، أو شىء أخطأ فيه مصنفه يبينه ، أو شىء مفرق يجمعه » .

وإلا ، فحسبى أنى اجتهدت ، والمجتهد لا يحرم من الأجر وإن أخطأ . وأستعيذ بالله أن أكون ممن قيل فيه :

وبات يقدح طول الليل فكرته وفسر الماء بعد الجهد بالماء

والله من وراء القصد : ربنا عليك توكلنا ، وإليك أنبنا ، وإليك المصير .

د. نزيه عبد الحميد السيد

تمهيد

فى بيان حقيقة الالتفات

يقول علماء المنطق : الحكم على الشىء فرع عن تصوره ، إذ لا يمكن الحكم على المجهول ، كما لا يمكن الحكم على شىء مختلف فى تحديد ماهيته ، وتصوير حقيقة : أى شىء هى ؟

لهذا كان علينا بادىء ذى بدء أن نكشف عن معنى «الالتفات» وحقيقته عند اللغويين وعند البلاغيين .

ا — فى اللغة :

فى لسان العرب : لفت وجهه عن القوم : صرفه ، وتلفت إلى الشىء والتفت إليه : صرف وجهه إليه . قال :

أرى الموت بين السيف والنطع كامنا
يلاحظنى من حيث ما أتلفت

وفى الحديث فى صفته ﷺ : فإذا التفت التفت جميعاً ، أراد أنه لا يسارق النظر . وقيل : أراد لا يلوى عنقه يمنة ويسرة إذا نظر إلى الشىء وإنما يفعل ذلك الطائش الخفيف ، ولكن كان يقبل جميعاً ويدبر جميعاً .

ولفته يلفته لفتاً : لواه على غير جهته . ولفته عن الشىء يلفته لفتاً : صرفه قال الفراء فى قوله عز وجل : (أجئتنا لتلفتنا عما وجدنا عليه آباءنا) : اللفت:

الصرف . يقال : ما لفتك عن فلان أى ما صرفك عنه . واللفت : لى الشىء عن جهته كما تقبض على عنق إنسان فتلفته . وأنشد :

ولفتن لفتات لهن خضاد

ولفت فلاناً عن رأيه : أى صرفته عنه ، ومنه الالتفات (١) .

فهذه المادة اللغوية « لفت » تدور حول التحول والانتقال من جهة إلى أخرى ، ومنها أخذ « الالتفات » مصدر « التفت » . يقول البلاغيون : إن لفظ « الالتفات » مأخوذ من التفات الإنسان من يمينه إلى شماله ، ومن شماله إلى يمينه ، لأن الالتفات الحسى لا بد فيه من تحويل الإنسان بدنه من جهة يمينه إلى جهة يساره ، وكذلك الالتفات الاصطلاحى لا بد فيه من انتقالين ، أى من تعبير إلى تعبير آخر مخالف للأول ، كالانتقال من الغيبة إلى الخطاب أو عكسه .

قال ابن الأثير : وحقيقته مأخوذة من التفات الانسان عن يمينه وشماله ، فهو يقبل بوجهه تارة كذا وتارة كذا ، وكذلك يكون هذا النوع من الكلام خاصة ، لأنه ينتقل فيه عن صيغة إلى صيغة ، كالانتقال من خطاب حاضر إلى غائب ، أو من خطاب غائب إلى حاضر ، أو من فعل ماض إلى مستقبل ، أو من مستقبل إلى ماض ، أو غير ذلك مما يأتى ذكره مفصلا (٢) .

ب ـ معنى الالتفات عند البلاغيين :

للبلاغيين تعريفان مشهوران للالتفات : أحدهما للجمهور ، والآخر للإمام السكاكى .

---

(١) لسان العرب : لفت . (٢) المثل السائر : ٢٥٤ .

١ — أما الجمهور فقد عرفوا الالتفات بأنه : التعبير عن معنى بطريق من الطرق الثلاثة بعد التعبير عنها بطريق آخر منها .

أى الالتفات عند جمهور البلاغيين هو التعبير عن معنى من المعانى بطريق من الطرق الثلاثة وهى : التكلم والخطاب والغيبة ، بعد التعبير عن ذلك المعنى نفسه بطريق آخر منها أى من تلك الطرق الثلاثة كأن يعبر عنه أولا بالغيبة ثم يعبر عنه ثانياً بالخطاب ، كما يأتى فى الأمثلة .

وهذا التعريف هو التعريف المشهور الشائع فى كتب البلاغة ، والذى سار عليه أكثر المؤلفين فى البلاغة .

ما يشترط فى الالتفات عند الجمهور :

اشترط جمهور البلاغيين فى أسلوب الالتفات شروطاً لا بد من تحققها كى يسمى الأسلوب أسلوب التفات . وهذه الشروط هى : ا ـ أن يكون التعبير الثانى على خلاف ما يقتضيه ظاهر الكلام ويترقبه السامع ، ولا بد من هذا الشرط أو القيد ليخرج نحو : أنا زيد وأنت عمرو . لأنه وإن كان يصدق على كل منهما أنه قد عبر فيه عن معنى وهو الذات بطريق الغيبة بعد التعبير عنه بطريق آخر وهو التكلم فى الأول والخطاب فى الثانى إلا أن التعبير الثانى يقتضيه ظاهر الكلام ويترقبه السامع ، لأن المتكلم إذا قال : أنا أو أنت ترقب السامع أن يأتى بعده باسم ظاهر خبراً عنه ، لأن الإخبار عن الضمير إنما يكون بالاسم الظاهر ، فالإخبار بالاسم الظاهر وإن كان من قبيل الغيبة عن ضمير المتكلم أو المخاطب إلا أنه جار على ما يستعمل فى الكلام . ونحو قول الآخر :

نحن الذون صبحوا الصباحا يوم النخيـــل غارة ملحاحا

فقد انتقل القائل من ضمير المتكلم وهو (نحن) إلى الغيبة وهو (اللذون) إلا أنه يقتضيه الظاهر ، لأن الإخبار بالظاهر وإن كان من قبيل الغيبة عن ضمير التكلم أو الخطاب جار على ظاهر ما يستعمل فى الكلام ، فلم يجر على خلاف ما يترقبه السامع ، فلولا هذا الشرط لحكم بأن هذا التفات .

وقوله (صبحوا) جار على مقتضى الظاهر لأن (اللذون) إسم غيبة فالمطابق له الغيبة . ومثل قوله تعالى : وإياك نستعين . واهدنا ، وأنعمت ، فإنه وإن عبر عن المعنى وهو الذات العلية بطريق الخطاب بعد التعبير عنها بآخر وهو الغيبة فى قوله : (مالك يوم الدين) إلا أن هذا التعبير على مقتضى الظاهر ، لأن الالتفات حصل أولا بقوله (إياك نعبد) والثانى وهو (وإياك نستعين) أتى على أسلوبه .

فالالتفات إنما هو فى (إياك نعبد) لأنه انتقل من التعبير عن معنى بالغيبة وهو (مالك يوم الدين) إلى الخطاب فى قوله (إياك نعبد) .

وأما قوله (وإياك نستعين) فليس فيه التفات لأنه انتقال من خطاب وهو (إياك نعبـــد) الى خطاب آخر وهو (وإياك نستعين) فكل واحد من قوله (وإياك نستعين) و (اهدنا الصراط) و (أنعمت) جار على أسلوبه .

ب - أن يكون الضمير فى المنتقل إليه عائداً فى نفس الأمر إلى المنتقل عنه ، أى إلى الملتفت عنه ، ليخرج نحو : أكرم زيداً وأحسن إليه ، فضمير أنت الذى هو فاعل أكرم غير الضمير فى إليه ، وليس التفاتاً ، ولولا هذا الشرط للزم أيضاً أن يكون فى قولنا : أنت صديق التفات ، وليس كذلك .

جـ ـ أن يكون الالتفات فى جملتين. وقد صرح بذلك صاحب الكشاف[١] وغيره . والظاهر أنهم إنما يريدون بالجملتين الكلامين المستقلين حتى يمتنع الالتفات بين الشرط وجوابه مثلا . وكلام البلاغيين فى إيجاز الحذف وغيره يبين أنهم إنما يريدون بالجملة الكلام المستقل بنفسه فأما قول الشاعر :

أأنت الهلالى الذى كنت مرة سمعنا به والأرحبى المغلب

فليس منه ، لأن الضميرين أحدهما على اللفظ والآخر على المعنى .

وفى هذا الشرط نظر ، فقد وقع فى القرآن مواضع ، الالتفات فيها وقع فى كلام واحد ، وإن لم يكن بين جزأى الجملة ، كقوله تعالى : (والذين كفروا بآيات الله ولقائه أولئك يئسوا من رحمتى) [٢] ، وقوله تعالى : (وما كان ربك مهلك القرى حتى يبعث فى أمها رسولا يتلوا عليهم آياتنا)[٣]، وقوله : (وامرأة مؤمنة إن وهبت نفسها للنبى) [٤] ، بعد قوله : (إنا أحللنا لك) ، التقدير : إن وهبت المرأة نفسها للنبى (إنا أحللنا لك) ، وجملة الشرط والجزاء كلام واحد .

وقوله : (ويوم نحشرهم وما يعبدون من دون الله فيقول) [٥] ، وقوله : (إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً . لتؤمنوا بالله ورسوله) [٦] ، وفيه التفاتان : أحدهما بين (أرسلنا) ولفظ الجلاله (الله) ، والثانى بين الكاف فى (أرسلناك) و (رسوله) وكل منهما فى كلام واحد .

---

(١) ينظر الكشاف ١ : ٦٢
(٢) سورة العنكبوت ٢٣
(٣) سورة القصص ٥٢
(٤) سورة الأحزاب ٥٠
(٥) سورة الفرقان ١٧
(٦) سورة الفتح ٨، ٩

وقد وقع الالتفات أيضاً بين الشرط والجواب فى قوله كثير :

أسيئى بنا أو أحسنى لا ملومة
لدينا ولا مقليـــة إن تقلت

قال الجوهرى : خاطبها ثم غايب . فقوله (تقلت) فعل ماض مسنه إلى ضمير المؤنث المستتر وأصله تقليت فالتفت من الخطاب إلى الغيبة .

وقوله تعالى : (فمن تبعك منهم فإن جهنم جزاؤكم جزاء موفورا) [١] . وجوز الزمخشرى فيه أن يكون ضمير (جزاؤكم) يعود على التابعين على طريق الالتفات ، قال : فإن قلت : أما كان من حق الضمير فى جزاء أن يكون على لفظ الغيبة يرجع إلى من تبعك ؟ قلت : لى ولكن التقدير : فإن جهنم جزؤهم وجزاؤك ، ثم غلب المخاطب على الغائب فقيل : جزاؤكم ، ويجوز أن يكون التابعين على طريق الالتفات [٢] . وهو ينافى ما تقدم عنه وعن غيره :

وقوله تعالى : (واتقوا يوما ترجعون فيه إلى الله)[٣] ، على قراءة الياء .

قال الزمخشرى : قرىء على البناء للفاعل وللمفعول . وقرىء (يرجعون) بالياء على طريقة الالتفات [٤] . وهو أيضاً ينافى ما تقدم . ثم كان الزمخشرى مستغنيا عن ادعاء الالتفات بأن يعيد الضمير فى (يرجعون) إلى جنس الناس فلا يكون التفاتا . ومنه ما قاله التنوخى فى « الأقصى القريب » إن الواو فى قوله تعالى : (وبعثنا منهم اثنى عشر نقيبا) [٥] ، واو الحال ، يلزمه وقوع الالتفات فى كلام واحد :

---

(١) سورة الإسراء ٦٣
(٢) سورة البقرة ٢٨١
(٣) سورة المائدة ١٢
(١) الكشاف ٢ : ٤٥٦
(٤) الكشاف ١ : ٤٠٢

فإن كان القائل إن الالتفات لا يكون فى جملة واحدة يعنى به جملة طرفاها مفردان ، ويجوز وقوعه بين جملتين لهما محل واحد معمولتين لشىء واحد ، أو بين جملة ومتعلق بها ، لم ينتقض كلامه بشىء مما سبق (١) .

• • •

وأما المذهب الثانى فى الالتفات فهو للسكاكى ، فقد فسر — رحمه الله — الالتفات بأنه : نقل واحد من التكلم والخطاب والغيبة إلى الآخر ، يعنى أنه التعبير بإحدى هذه الطرق عما عبر به ، أو كان من مقتضى الظاهر أن يعبر عنه بغيره . قال رحمه الله : وأعلم أن هذا النوع — أعنى نقل الكلام عن الحكاية إلى الغيبة — لا يختص بالمسند إليه ، ولا النقل مطلقا مخص بهذا القدر ، بل الحكاية والخطاب والغيبة ثلاثتها ينقل كل واحد منها إلى الآخر — أى سواء كان فى المسند إليه أو غيره ، وسواء كان كل منها وارداً فى الكلام أو كان مقتضى الظاهر إيراده — ويسمى هذا النقل عند العلماء المعانى التفاتا (٢) .

وقوله : وقال امرؤ القيس :

تطاول ليلك بالأثمد ... ونام الخلى ولم ترقد

وبات وباتت له ليلة ... كليلة ذى العائر الأرمد

وذلك من نبأ جاءنى ... وخبرته عن أبى الأسود

فالتفت فى الأبيات الثلاثة (٣) . واضح فى أن النقل عنده أعم من يكون

---

(١) ينظر عروس الأفراح ١ : ٤٧٧ ، ٤٧٨ والبرهان فى علوم القرآن ٣ : ٣٣ ، ٣٣٢

(٢) المفتاح : ٨٦ (٣) المصدر السابق نفسه . ٨٧

قد عبر عن معنى بطريق من الطرق الثلاثة ثم عبر عنها بطريق آخر ، أو يكون مقتضى الظاهر التعبير عنه بطريق منها فعدل إلى الآخر .

قال العلامة سعد الدين التفتازاني : الالتفات بتفسير الجمهور أخص منه بتفسير السكاكي ، لأن النقل عنده أعم من أن يكون قد عبر عن معنى بطريق من الطرق الثلاثة ثم عبر عنه بطريق آخر ، أو يكون مقتضى الظاهر التعبير عنه بطريق منها فعدل إلى الآخر ، وعند الجمهور مختص بالأول ، فكل التفات عندهم التفات عنده من غير عكس ، كما في قوله :

. تطاول ليلك بالأثمد . الأبيات . فإنه لا التفات في البيت الأول عند الجمهور ، بل هو من قبيل التجريد ، وقد صرح السكاكي بأن في كل بيت من الأبيات الثلاثة التفاتا . فيقول صاحب الكشاف : وقد التفت امرؤ القيس ثلاث التفاتات في ثلاثة أبيات ظاهر في أن مذهب السكاكي موافق لمذهبه (١) .

يفهم من عبارة صاحب المطول الأخيرة أن هذا المذهب الذي نسب إلى السكاكي هو في الحقيقة مذهب الزمخشري ، وقد نسب خطأ إلى السكاكي ، وهذا حق ، وسيأتي كلام عن هذا عند الحديث عن الالتفات عند الإمام الزمخشري .

وعن مذهب السكاكي هذا في الالتفات يقول بهاء الدين السبكي : والمشهور أن الالتفات التعبير عن معنى بإحدى الطرق الثلاثة بعد التعبير عنه بطريق أخرى ، وهو أخص من الأول — أي من تعريف السكاكي — لأن نحو : أمير المؤمنين يأمرك بكذا التفات عند السكاكي دون غيره ، وقول

---

(١) المطول : ١٣٢ .

السكاكى : خلاف الظاهر أعم من أن تكون مخالفة الظاهر لفظية لا معنوية كقوله تعالى : (والله الذى أرسل الرياح فتثير سحابا فسقناه) فإن سقناه على وفق الظاهر معنى ، لأنه جاء على الأصل وعلى خلاف الظاهر لفظا ، لأن لفظ الجلالة للغيبة ، أو تكون مخالفته للظاهر معنوية لا لفظية مثل : أمير المؤمنين يأمر بكذا ، أو معنوية لفظية مثل : (إنا أعطيناك الكوثر فصل لربك وانحر). والسكاكى لم يصرح بما أراده بقوله خلاف الظاهر ، هل يريد بحسب اللفظ أو المعنى ، لكن دلنا على أن ذلك مراده جعله فى أبيات امرىء القيس ثلاث التفاتات ، لكن مخالفة الظاهر فى المعنى لا فى اللفظ شرط كونها التفاتا أن لا يوافق لفظا سابقا فإن وافقه فليس التفاتا .

فحاصله أن الالتفات عند السكاكى : إتيان الكلام على أسلوب مخالف لأسلوب سابق مطلقا ، أو لم يسبقه غيره والمعنى يقتضى خلافه [1] .

والجمهور يرى أن فى أبيات امرىء القيس التفاتين باتفاق فى (بات) لعدوله إلى الغيبة ، بعد الخطاب فى (ليالك) وفى (جاءنى) لعدوله بعدها إلى التكلم ، فالأول التفات من الخطاب إلى الغيبة ، والثانى من الغيبة إلى التكلم وأما قوله (تطاول ليلك) فالسكاكى يجعله التفاتا من التكلم للخطاب لأن الأصل أن يقول : تطاول ليلى ، وأما الجمهور فيتعين عندهم أن يكون تجريداً إذ لم يقع قبله التعبير بطريق التكلم .

الفرق بين التجريد والالتفات:

عرفنا حقيقة الالتفات عند كل من الجمهور السكاكى ، أما التجريد فقد عرفه البلاغيون بقولهم : هو أن ينتزع من أمر ذى صفة أمر آخر مثله فى

(١) شرح التلخيص ١ : ٤٦٥ ، ٤٦٦

تلك الصفة ، مبالغة فى كمالها فيه [١] .

وهو عندهم على أقسام متعددة وصور مختلفة ، منها مخاطبة الإنسان نفسه ، كقول امرىء القيس المتقدم :

تطاول ليلك بالإثمد ونام الخلى ولم ترقد

وقول الأعشى :

ودع هريرة إن الركب مرتحل وهل تطيق وداعا أيها الرجل

فقد جرد كل منهما من نفسه شخصا نخاطبه ووجه الحديث إليه .

وفى بيان الفرق بين الالتفات والتجريد يقول صاحب عروس الأفراح : إن بين التجريد والالتفات عموما وخصوصاً من وجه ، فيوجد التجريد دون الالتفات كقولك : رأيت منه أسداً ، ومثل : تطاول ليلك على رأى الجمهور ، والالتفات دون التجريد نحو : (تكلفنى ليلى) فى قول علقمة بن عبده الفحل :

طحا بك قلب فى الحسان طروب بعيد الشباب عصر حان مشيب
تكلفنى ليلى وقد شط وليها وعادت عواد بيننا وخطوب

فى البيتين التفات من الخطاب فى (طحا بك) إلى التكلم فى (تكلفنى) ونحو : (فسقناه) والتفات وتجريد نحو : (فصل لربك) ، ولا واحداً منهما كغالب القرآن [٢] .

هـ ـ الالتفات من أى علوم البلاغة ؟

علوم البلاغة ثلاثة : علم المعانى ، وعلم البيان ، وعلم البديع ، فإلى أى هذه

---

(١) الإيضاح : ٢٦٣ (٢) شرح التلخيص : ١ : ٤٧٦

العلوم ينتسب الالتفات ؟ . فقد جعله صاحب الكشاف من علم البيان ، قال رحمه الله فى قوله تعالى : (إياك نعبد وإياك نستعين) : فإن قلت : لم عدل عن لفظ الغيبة إلى لفظ الخطاب ؟ قلت : هذا يسمى الالتفات فى علم البيان (١) وأورده صاحب المفتاح تارة فى علم المعانى وأخرى فى علم البديع (٢) . وبحثه الخطيب القزوينى فى علم المعانى ، باعتبار أنه من صور إخراج الكلام على خلاف مقتضى الظاهر ، وهذا إنما يبحث عنه فى علم المعانى (٣) .

وجوابا عن هذا السؤال الذى طرحناه نقول : إن الزمخشرى يريد بعلم البيان ها هنا العلوم الثلاثة : المعانى والبيان والبديع . قال بعض العلماء : يبحث عن الالتفات فى كل واحد منها ، أما فى علم المعانى فباعتبار كونه على خلاف مقتضى الظاهر . وأما فى علم البيان فباعتبار أنه إيراد لمعنى واحد فى طرق مختلفة الدلالة عليها جلاء وخفاء ، وبهذين الاعتبارين يفيد الكلام حسنا ذاتيا للبلاغة . وأما فى علم البديع فمن حيث إن فيه جمعا بين صور متقابلة فى معنى واحد ، فكان من المحسنات المعنوية . ويؤيد هذا أن صاحب المفتاح أورد الالتفات تارة فى المعانى وأخرى فى البديع وفى عده خلاف مقتضى الظاهر كناية إيماء إلى أنه من البيان أيضاً (٤) .

---

(١) الكشاف ١ : ٦٢ (٢) ينظر المفتاح : ٨٦ ، ١٨١

(٣) ينظر الإيضاح : ٧١ (٤) حاشية السيد الشريف الجرجانى على الكشاف ١ : ٦٢

الإلتفات فى دراسات المتقدمين

لعل الأصمعى المتوفى سنة ٢١٦ هـ أول من ذكر الالتفات ، فقد ذكر كثير من الدارسين ما رواه محمد بن يحيى الصولى [١] عن الأصمعى أنه قال : قال لى الأصمعى : أتعرف التفاتات جرير ؟ قلت : لا فما هى ؟ قال :

أتنسى إذ تودعنا سليمى بعود بشامة ؟ سقى البشام

ألا تراه مقبلا على شعره ثم التفت إلى البشام فدعا له ... وقوله :

طرب الحمام بذى الأراك فشاقنى لا زلت فى علل وأيك ناضر

فالتفت إلى الحمام فدعا له [٢] .

ومن المعروف أن المتأخرين من البلاغيين جعلوا هذا النوع من التذييل وهو نوع من الإطناب ، وهو تعقيب الجملة بجملة تشتمل على معناها للتوكيد [٣] وهو الصواب . فهذا الذى سماه الأصمعى التفاتاً ليس التفاتاً اصطلاحياً ، وإنما هو التفات لغوى لأنه انتقال من أسلوب إلى أسلوب آخر ، ولا يعده البلاغيون من قبيل الالتفات البلاغى ، وإنما هو كما قلنا من قبيل التذييل الذى هو نوع من أنواع الإطناب .

وقد أدخل بعض الدارسين الاعتراض فى الالتفات وجعلهما شيئاً واحداً

---

(١) العمدة ٢ : ٤٦ : إسحاق الموصلى .

(٢) الصناعتين : ٤٣٨ ، وإعجاز القرآن : ٩٩ ، والعمدة ٢ : ٤٦ .

(٣) ينظر الإيضاح : ٢٠٠ وما بعدها .

ومن هؤلاء قدامة بن جعفر المتوفى سنة ٢٣٧ هـ — وتبعه فى ذلك أبو هلال العسكرى (١) ، والباقلانى (٢) وابن رشيق (٣) ، فقد ذكر قدامة الاعتراض فى الالتفات وجعله صورة من صوره .

يقول قدامة : ومن نعوت المعانى الالتفات وهو أن يكون الشاعر آخذاً فى معنى ، لكأنه يعترضه إما شك فيه أو ظن بأن راداً يرد عليه قوله أو سائلا يسأل عن سببه ، فيعود راجعاً إلى ماقدمه فإما أن يذكر سببه ، أو يحل الشك فيه ، مثال ذلك قول المعطل فى بنى رهم من هذيل :

تبين صلاة الحرب منا ومنهم إذا ما التقينا والمسالم بادن

ثم ذكر قدامة من أمثلته قول الرماح بن ميادة :

فلا صرمه يبدو وفى اليأس راحة ولا وصله يبدو لنا فنكارمه(٤)

وهذا من الاعتراض يذكره قدامة فى الالتفات ، والبيت الأول من التذييل ، والاعتراض نوع من أنواع الإطناب أيضاً مثله فى ذلك مثل التذييل ، وعرفه البلاغيون بأنه: هو أن يؤتى فى أثناء الكلام ، أو بين كلامين متصلين معنى ، بجملة أو أكثر لا محل لها من الإعراب ، لنكتة (٥) .

وقد أشار ابن رشيق إلى أن الالتفات هو الاعتراض عند قوم ، وقال فى بيانه : وسبيله أن يكون الشاعر آخذاً فى معنى ثم يعرض له غيره ، فيعدل

---

(١) الصناعتين : ٤٣٩ (٢) إعجاز القرآن : ٩٩ وما بعدها
(٣) العمدة ٢ : ٤٥ . (٤) نقد الشعر : ١٥٠ ، ١٥١
(٥) ينظر الإيضاح . ٢٠٦ وما بعدها .

عن الأول إلى الثانى فيأتى به ، ثم يعود إلى الأول ، من غير أن يخل فى شىء مما ينشد الأول ، ثم ذكر من أمثلته قول كثير :

لو أن الباخلين وأنت منهم رأوك تعلموا المطـــالا

فقوله : وأنت منهم ، اعتراض كلام فى كلام . ثم أشار ابن رشيق إلى أن أكثر البلاغيين على جمع الالتفات والاعتراض فى شىء واحد ، وإن قليلا منهم من يفرق بينهما ، كابن المعتز فقد جعل الاعتراض باباً على حدته بعد باب الالتفات (١) .

ومن شواهد الالتفات المشهورة قول النابغة الجعدى :

ألا زعمت بنو كعب بأنى ألا كذبوا كبير السن فانى

وقول حسان بن ثابت :

ان التى ناولتنى فرددتها قتلت قتلت فهاتها لم تقتل (٢)

وهذا كله من الاعتراض وليس من الالتفات .

. . .

وقد كانت الإشارة إلى الالتفات بمعناه البلاغى الذى استقر فى كتب البلاغيين مبكرة أيضاً ، ولكنها ليست موغلة فى القدم إيغال رواية الأصمعى

---

(١) العمدة ٢ : ٤٥ .

(٢) ينظر إعجاز القرآن : ٩٩ وما بعدها ، والعمدة ٢ : ٤٥ ، والصناعتين : ٤٢٨ وما بعدها .

الذى تعزى إليه أول إشارة إلى الالتفات كما تقدم - فقد أشار إلى صور الالتفات بمفهومها الاصطلاحى أبو عبيدة معمر بن المثنى المتوفى سنة ٢١٠ هـ فى كتابه « مجاز القرآن » وذكر الآية المشهورة فى هذا الباب وهى قوله تعالى (حتى إذا كنتم فى الفلك وجرين بهم) الآية. قال رحمه الله : ومن مجاز ما جاءت مخاطبته مخاطبة الشاهد ثم تركت وحولت مخاطبته هذه إلى مخاطبة الغائب ، قال الله : (حتى إذا كنتم فى الفلك وجرين بهم) [١] أى بكم

ومن مجاز ما جاء خبره عن غائب ثم خوطب الشاهد ، قال : (ثم ذهب إلى أهله يتمطى . أولى لك فأولى [٢]) .

ولكننى لا أعنى هنا دراسة صور الالتفات ، وإنما أعنى التطور التاريخى لمفهوم الالتفات ، وإطلاق هذا الاصطلاح على هذه الصور .

قال ابن رشيق : وقد أحسن ابن المعتز فى العبارة عن الالتفات بقوله : هو انصراف المتكلم من الإخبار إلى المخاطبة ومن المخاطبة إلى الإخبار وتلا قوله تعالى : (حتى إذا كنتم فى الفلك وجرين بهم) [٣] .

وهذا حق ، فقد كانت دراسة ابن المعتز للالتفات وصوره - فيما نعلم - أقدم ربط بين هذه الصور وبين هذا المصطلح ، فقد دارت كلمة الالتفات على ألسنة أئمة القرن الثالث الهجرى ، وكانت تشمل الاعتراض والتذييل ، وأن بحث صور الالتفات بالمفهوم البلاغى المتأخر دارت كذلك فى كتبهم ، فقد درسها أبو عبيدة وذكر الآية المشهورة فى هذا الباب وهى قوله تعالى : (حتى إذا كنتم فى الفلك وجرين بهم بريح طيبة) كما ذكر قوله تعالى : (ثم ذهب الى أهله يتمطى . أولى لك فأولى) كما تقدم .

---

(١) سورة يونس : ٢٢ (٢) سورة القيامة : ٣٣ و ٣٤ (٣) مجاز القرآن ١ : ١١ (٤) العمدة ٢ : ٤٦ .

ولكن ابن المعتز درسه دراسة علمية محددة ، قريبة من دراسة المتأخرين له . فقد عدد الالتفات من محاسن الكلام وبديعه وعرفه ومثل له بعدة أمثلة من القرآن والشعر ، فى تعريفه له يقول : الالتفات هو انصراف المتكلم عن المخاطبة إلى الإخبار ، وعن الإخبار إلى المخاطبة وما يشبه ذلك . ومن الالتفات الانصراف عن معنى يكون فيه إلى معنى آخر ، قال الله جل ثناؤه : (حتى إذا كنتم فى الفلك وجرين بهم بريح طيبة) ، وقال : (إن يشأ يذهبكم ويأتى بخلق جديد) ثم قال : (وبرزوا لله جميعا) . فالآية الأولى مثال للالتفات من الخطاب إلى الغيبة ، وكذلك الآية الثانية .

ومثل ابن المعتز كذلك لانصراف المتكلم عن الإخبار إلى المخاطبة . أو بعبارة أخرى لانصرافه عن الغيبة ، إلى الخطاب بقول جرير :

طرب الحمام بذى الأراك فشاقنى لا زلت فى علل وأيك ناضر

فجرير قد أخبر عن الغائب فى الشطر الأول وهو الحمام ، ولكنه فى الشطر الثانى انصرف عن الاستمرار فى خطاب هذا الغائب والتفت إلى مخاطبته بقوله : لا زلت فى علل وأيك ناضر ، لزيادة فائدة فى المعنى هى الدعاء للحمام . وقد تقدم أن هذا من التذييل .

أما النوع الثالث من الالتفات عند ابن المعتز وهو انصراف المتكلم من معنى يكون فيه إلى معنى آخر فقد مثل له بقول أبى تمام :

وأنجدتم من بعد اتهام داركم فيا دمع أنجدنى على ساكنى نجد

فالشاعر - وهو المتكلم هنا - يخبر من يخاطبهم بأنه يعلم أنهم قد اتخذوا دارهم فى نجد بعد أن كانت فى تهامة ، ثم ينصرف أو يلتفت بعد ذلك إلى

معنى آخر يتمثل فى دعاء الدمع ومطالبته بأن يسعفه على ما كنى نجد [١] .

. . .

وقد درس ابن قتيبة صور الالتفات فى باب : مخالفة ظاهر اللفظ معناه . قال : ومنه أن تخاطب الشاهد بشىء ثم تجعل الخطاب له على لفظ الغائب كقوله عز وجل : (حتى إذا كنتم فى الفلك وجرين بهم بريح طيبة وفرحوا بها) وقوله : (وما أتيتم من زكاة تريدون وجه الله فأولئك هم المضعفون)[٢] وقوله : (ولكن الله حبب إليكم الإيمان وزينه فى قلوبكم) ، ثم قال : (أولئك هم الراشدون) [٣] .

قال الشاعر :

يا دار ميه بالعلياء فالسند أقوت وطال عليها سالف الأبد

وكذلك أيضاً تجعل خطاب الغائب للشاهد ، كقول الهذلى :

يا ويح نفسى كان جدة خالد وبياض وجهك للتراب الأعفر

ومنه أن يخاطب الرجل بشىء ثم يجعل الخطاب لغيره . كقوله : (فإن لم يستجيبوا لكم) الخطاب للنبى ﷺ ، ثم قال : (فاعلموا أنما أنزل بعلم الله وأن لا إله إلا هو) يدلك على ذلك قوله : (فهل أنتم مسلمون) [٤] ، وقال : (إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً) ثم قال : (لتؤمنوا بالله ورسوله وتعزروه وتوقروه [٥] .

---

(١) ينظر البديع : ٥٨ ، ٥٩ . (٢) سورة الروم : ٣٩

(٣) سورة الحجرات : ٧ (٤) سورة هود : ١٤ (٥) سورة الفتح : ٨، ٩

تأويل مشكل القرآن : ٢٢٣ — ٢٢٤ .

وذكر أحمد بن فارس أيضاً صور الالتفات ، قال : العرب تخاطب الشاهد ، ثم تحول الخطاب إلى الغائب ، وذلك كقول النابغة :

يا دارمية بالعلياء فالسند أقوت وطال عليها سالف الأبد

فخاطب ثم قال : أقوت . وفي كتاب الله جل ثناؤه : (حتى إذا كنتم في الفلك وجرين بهم) . وقال : (وما آتيتم من زكاة تريدون وجه الله فأولئك هم المضعفون) . وقال : (ولكن الله حبب إليكم الإيمان) وقال في آخر الآية : (فأولئك هم الراشدون) .

ومنه قوله :

أسيئي بنا أو أحسني لا ملومة لدينا ولا مقلية إن تقلت

وقد يجعلون خطاب الغائب للشاهد ـ وذكر قول الهذلي السابق ـ وقول الآخر :

شطت مزار العاشقين فأصبحت عسرا علي طلابك ابنة مخرم

ثم يحول الخطاب لغيره أو يخبر عن شيء ثم يجعل الخبر المتصل به لغيره . قال الله جل ثناؤه : (فإن لم يستجيبوا لكم) الخطاب للنبي ﷺ ، ثم قال للكفار : (فاعلموا أنما أنزل بعلم الله) يدل على ذلك قوله جل ثناؤه : (فهل أنتم مسلمون) [1] .

• • •

---

(١) ينظر الصاحبي : ٢٥٦ وما بعدها .

وقد أثار القاضي علي بن عبد العزيز الجرجاني مناقشة حول قول أبي الطيب المتنبي :

وإني لمن قوم كأن نفوسنا بها أنف أن تسكن اللحم والعظما

وذلك لأن ناقديه قد عابوه لما رجع من الغيبة في (قوم) إلى التكلم في (نفوسنا) ، ثم ذكر ما اعتذر به المحتجون عنه حيث بينوا أن هذه طريقة العرب فهم يحملون الكلام على المعنى ، ويصرفون الضمير عن وجهه ، وذكروا من أمثلة ذلك قوله تعالى : (إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات إنا لا نضيع أجر من أحسن عملا) وليس في الخبر ما يرجع إلى الأول ، ولو ردت الضمير إلى الأول لقيل : إنا لانضيع أجرهم ، لكنه لما كان من أحسن عملا هم المضمرون بهم الذين في أجرهم جاز أن ينوب أحدهما عن الآخر ، لأن من أحسن عملا هو من آمن . ومثل هذا قوله تعالى : (والذين يمسكون بالكتاب وأقاموا الصلاة إنا لا نضيع أجر المحسنين) لما كان معنى المصلحين معنى الذين يمسكون بالكتاب جاز أن يقوم مقامه فيعود الذكر إليه في المعنى فكأنه قال : إنا لانضيع أجرهم ، وهذا من إقامة المظهر مقام المضمر ، وسيأتي أن الزمخشري يحمله من باب الالتفات ويتبعه في هذا ابن الأثير والعلامة العلوي .

ثم إن القاضي ربط هذا بقوله تعالى : (حتى إذا كنتم في الفلك وجرين بهم) يقول : قالوا وشبيه بهذا قوله تعالى : (حتى إذا كنتم في الفلك وجرين بهم بريح طيبة) عدل عن ضمير المخاطب إلى ضمير الغائب اعتماداً على ظهور المعنى [1] .

---

(١) البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري : ١٣١ .

ونلاحظ من دراسة المتقدمين للالتفات أننا لا نجد فيما تلك اللمسة الفنية التي ترشدنا إلى أثر هذا الأسلوب وقيمته البلاغية ، وإنما المهم عندهم جميعاً أن يبينوا هذه الطريقة من الكلام وأن يستشهدوا لها من كلام العرب ، كما نجد فيها أيضاً خلطاً بين فن « الالتفات » وغيره من الفنون البلاغية الأخرى ، ولم نر فيها تحديداً دقيقاً لمفهوم هذا الفن ، وضابطاً يميزه عن غيره من الفنون البلاغية الأخرى ، وليس هذا خاصاً بالالتفات فقط ، ولكن الفنون البلاغية الأخرى كانت دراستها هكذا عند المتقدمين ، ثم أخذت تتضح معالمها ، وتتحدد مفهوماتها ، وتتميز عن غيرها بتعاقب الزمن ، إلى أن استقرت على الصورة التي هي عليها الآن في كتب المتأخرين من البلاغيين .

أسلوب الالتفات بين الإمام الزمخشرى وأبى يعقوب السكاكى

حقيقة الالتفات عندهما :

ذكرنا أن البلاغيين قد درسوا باب الالتفات وتنبهوا له منذ زمن بعيد ، ولكنه لم ينبه أحد منهم إلى قيمته البلاغية بالطريقة المفصلة الواضحة التى درسه بها الزمخشرى . فقد أدركه رحمه الله أن إيقاظ النفس وتحركها من أهم أغراض النص الأدبى ، ولذلك كانت كل خصوصية من خصائص الصياغة تحدث لونا من التأثير والإيقاظ هى خصوصية بلاغية ممتازة يحرص عليها المتكلم الأديب ، ويدرك الزمخشرى أن الالتفات فى الأسلوب كأنه ضربة أوتار النفس يزيدها تنبهاً وإيقاظاً أو هزاً وتحريكا كما يقول ، وله فى هذا تحليلات جيدة اقتبسها المتأخرون بعده ، كما اقتبسوا طريقته فى الالتفات .

وقد جرت كتب هؤلاء المتأخرين على دراسة مذهبين فى الالتفات : مذهب الجمهور ، ومذهب السكاكى . والواقع أن المذهب المنسوب إلى السكاكى - والذى تعرضنا له فيما تقدم عند الكلام عن حقيقة الالتفات عند البلاغيين - هو طريقة الزمخشرى وارتضاها السكاكى وسار عليها [1]

إن السكاكى لم يضع تعريفا محدداً للالتفات ، وإنما ذكر أن النقل من الخطاب إلى الغيبة لا يختص بالمسند إليه ولا بهذا القدر بل الحكاية والخطاب

---

(١) البلاغة القرآنية فى تفسير الزمخشرى : ٣٧٠ بتصرف

والغيبة ثلاثتها ينقل كل واحد منهما إلى الآخر ، ويسمى هذا التفاتا ، وقد ذكر الخطيب القزوينى وشراح التلخيص أن هذا المذهب يفهم من تفسير كلام السكاكى [١] .

ويتضح أن المذهب المنسوب إلى السكاكى فى الالتفات هو مذهب الزمخشرى فى الحقيقة من قول الزمخشرى مبينا أن الالتفات هو مخالفة ظاهر الحال ولو كان ابتداء كلام كما هو المذهب المنسوب إلى أبى يعقوب السكاكى . قال رحمه الله : فإن قلت : لم عدل عن لفظ الغيبة إلى لفظ الخطاب — يعنى قوله تعالى : (مالك يوم الدين إياك نعبد وإياك نستعين) — قلت : هذا يسمى الالتفات فى علم البيان ، قد يكون من الغيبة إلى الخطاب ومن الخطاب إلى الغيبة ومن الغيبة إلى المتكلم كقوله تعالى : (حتى إذا كنتم فى الفلك وجرين بهم) ، وقوله تعالى : (والله الذى أرسل الرياح فتثير سحابا فسقناه) وقد التفت امرؤ القيس ثلاث التفاتات فى ثلاثة أبيات :

تطاول ليلك بالأثمد ... ونام الخلى ولم ترقد
وبات وباتت له ليلة ... كليلة ذى العائر الأرمد
وذلك من نبأ جاءنى ... وخبرته عن أبى الأسود

وذلك على عادة افتنانهم فى الكلام وتصرفهم فيه [٢] .

فقوله : ثلاث التفاتات فى ثلاث أبيات ، يجرى مجرى النص على أن فى كل بيت منها التفاتا ، فيكون « ليلك » التفاتا من المتكلم إلى الخطاب ، فتعين

---

(١) ينظر المفتاح : ٨٦ ، وبغية الإيضاح : ١ : ١٥١ ، وشروح التلخيص ١ : ٤٦٤ وما بعدها .

(٢) الكشاف ١ : ٦٢ وما بعدها .

أن الالتفات عنده : مخالفة الظاهر فى التعبير عن الشيء بالعدول عن إحدى الطرق الثلاث إلى أخرى منها ، إما تحقيقا وإما تقديراً كما اختاره الإمام السكاكى .

. . . .

القيمة البلاغية لأسلوب الالتفات عند الزمخشرى:

يقول الإمام الزمخشرى موضحاً القيمة البلاغيه لأسلوب الالتفات : إن الكلام إذا نقل من أسلوب إلى أسلوب كان أحسن تطرية لنشاط السامع وإيقاظاً للإصغاء إليه من إجرائه على أسلوب واحد .

فى هذا الكلام وفيما سبقه إشارة إلى فائدتين عامتين لأسلوب الالتفات إحداهما : أنه عادة من عادات فى افتنانها فى الكلام وتصرفها فيه . والأخرى أن نقل الكلام من أسلوب إلى أسلوب أحسن تطريه لنشاط السامع وإيقاظا للإصغاء إليه من إجرائه على أسلوب واحد .

ثم يقول بعد ذلك مبينا فوائد أخرى خاصة لأسلوب الالتفات تختلف من موضع إلى آخر : وقد تختص مواقعه بفوائد ، ومما اختص به هذا الموضع أنه لما ذكر الحقيق بالحمد وأجرى عليه تلك الصفات العظام تعلق العلم بمعلوم عظيم الشأن حقيق بالثناء ، وغاية الخضوع والاستعانة فى المهمات ، فخوطب ذلك المعلوم المتميز بتلك الصفات فقيل : إياك يا من هذه صفاته نخص بالعبادة والاستعانة لا نعبد غيرك ولا نستعينه ، ليكون الخطاب أدل على أن العبادة له لذلك التميز الذى لا تحق العبادة إلا به (١) .

(١) الكشاف ١ : ٦٤

ونسمع هنا حديث التطرية لنشاط السامع والإيقاظ للإصغاء إليه ، وهذه الصفات من أهم خصائص الأسلوب الأدبي ، ومن أهم ما يعول عليه فى البلاغ والتأثير .

ويوضح الزمخشري هذا أكثر عندما يعود فيبين أثر طريقة الالتفات فى نفس السامع وأن هذا الأسلوب يهز من طبعه ويحرك حسه وهو لهذا فن من الكلام جزل . يقول فى قوله تعالى : (يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذى خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون) .

لما عدد الله تعالى فرق المكلفين من المؤمنين والكفار والمنافقين وذكر صفاتهم وأحوالهم ومصارف أمورهم وما اختصت به كل فرقة مما يسعدها ويشقيها ويحظيها عند الله ويرديها ، أقبل عليهم بالخطاب ، وهو من الالتفات المذكور عند قوله تعالى : (إياك نعبد وإياك نستعين) . وهو فن من الكلام جزل فيه هز وتحريك من السامع ، كما أنك إذا قلت لصاحبك حاكياً عن ثالث لكما : إن فلاناً من قصته كيت وكيت ، فقصصت عليه ما فرط منه ، ثم عدلت بخطابك إلى الثالث فقلت : يا فلان من حقك أن تلزم الطريقة الحميدة فى مجارى أمورك وتستوى على جادة السداد فى مصادرك وموارداك ، نبهته بالتفاتك نحوه فضل تنبيه ، واستدعيت إصغاءه إلى إرشادك زيادة استدعاء ، وأوجدته بالانتقال من الغيبة إلى المواجهة هازاً من طبعه ما لا يجده إذا استمرت على لفظ الغيبة . وهكذا الافتنان فى الحديث والخروج فيه من صنف إلى صنف يستفتح الآذان للاستماع ويستهش الأنفس للقبول[1] .

وهذا شرح رائع للقيمة البلاغية لهذا الأسلوب يعتمد على النفس ومعرفة أحوالها .

---

(١) الكشاف ١ : ٢٢٣ وما بعدها .

وإذا كان الالتفات إلى الغيبة أدرك الزمخشري منه معنى التشهير والنداء حتى كأن المتكلم بهذا الالتفات يخيل إليه أنه يحكي هذا الأمر الهام ويرويه لكل عاقل ليستنكره ويستقبحه .

يقول في قوله تعالى : (إنما يأمركم بالسوء والفحشاء وأن تقولوا على الله مالا تعلمون . وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله . .) الآية : « لهم » الضمير للناس وعدل بالخطاب عنهم على طريقة الالتفات للنداء على ضلالهم ، لأنه لا ضلال أضل من المقلد ، كأنه يقول للعقلاء انظروا إلى هؤلاء الحمقى ماذا يقولون (١) .

ويقول في قوله تعالى : (هو الذي يسيركم في البر والبحر حتى إذا كنتم في الفلك وجرين بهم بريح طيبة . .) : فإن قلت : ما فائدة صرف الكلام عن الخطاب إلى الغيبة ؟ قلت : المبالغة كأنه يذكر لغيرهم حالهم ليعجبهم منها ويستدعي منهم الإنكار والتقبيح (٢) .

والانصراف إلى الغيبة قد يكون في مقام المدح والثناء أمدح وأعظم ثناء وكأن المتكلم يروي الأمر للآخرين تعجباً واستعظاماً .

يقول الزمخشري في قوله تعالى : (وما آتيتم من زكاة تريدون وجه الله فأولئك هم المضعفون) : وقوله تعالى : (فأولئك هم المضعفون) التفات حسن كأنه قال للملائكته وخواص خلقه : فأولئك الذين يريدون وجه الله

---

(١) الكشاف ١ : ٣٢٨ (٢) الكشاف ٢ : ٢٣١

بصدقاتهم هم المضعفون ، فهو أمدح لهم من أن يقول : فأنتم المضعفون [١].

وقد يعدل المتكلم إلى الخطاب تخييلا بالإقبال على المخاطب ومواجهته بزيادة اللوم والإنكار .

يقول فى قوله تعالى (عبس وتولى أن جاءه الأعمى وما يدريك لعله يزكى) : وفى الإخبار عما فرط منه ثم الإقبال عليه بالخطاب دليل على زيادة الإنكار ، كمن يشكو إلى الناس جانيا جنى عليه ثم يقبل على الجانى إذا حمى فى الشكاية موجها له بالتوبيخ وإلزام الحجة [٢] .

ومن أحسن ما قاله الإمام الزمخشرى فى قيمة هذا النوع من الالتفات قوله تعالى : (وإذ نادى ربك موسى أن ائت القوم الظالمين . قوم فرعون ألا يتقون) قال : وأما من قرأ ألا تتقون على الخطاب فعلى طريقة الالتفات إليهم ، وجههم وضرب وجوههم بالإنكار والغضب عليهم ، كما ترى من يشكو من ركب جناية إلى بعض أخصائه والجانى حاضر ، فإذا اندفع فى الشكاية وحمى مزاجه وحمى غضبه قطع مبالغة صاحبه وأقبل على الجانى يوبخه ويعنف به ويقول له : ألا تتقى الله ؟ ألم تستح من الناس ؟ [٣] .

وقد يعدل المتكلم إلى الاسم الظاهر ليتمكن من إجراء صفات على هذا الاسم ، وفيه تفخيم للملتفت إليه .

يقول فى قوله تعالى : (قل يا أيها الناس إنى رسول الله إليكم جميعا الذى له ملك السموات والأرض لا إله إلا هو يحيى ويميت فآمنوا بالله ورسوله

---

(١) الكشاف ٣ : ٢٢٤ (٢) الكشاف ٤ : ٢١٨

(٣) الكشاف ٣ : ١٠٦

النبى الأمى الذى يؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون) : فإن قلت : هلا قيل : فآمنوا بالله ربى ، بعد قوله : (إنى رسول الله إليكم) ؟ قلت : عدل عن الضمير إلى الإسم الظاهر ليجرى عليه الصفات التى أجريت عليه ولما فى طريقة الالتفات من مزية البلاغة ، وليعلم أن الذى وجب الإيمان به هو هذا الشخص المستقل بأنه النبى الأمى الذى يؤمن بالله وكلماته كائنا من كان أنا أو غيرى ، إظهارا للنصفة وتفادياً من العصبية لنفسه [1] .

ويقول فى قوله تعالى : (ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما) : ولم يقل استغفرت لهم وعدل عنه إلى طريقة الالتفات تفخيما بشأن رسول الله ﷺ ، وتعظيما لاستغفاره ، وتنبيها على أن شفاعة من اسمه الرسول من الله بمكان [2] .

هذا هو كلام الإمام الزمخشرى عن الالتفات وقيمته البلاغية ، وهذا الكلام إذا قورن بما قاله المتقدمون عنه فى الالتفات ، يتضح أن ما قالوه ليس بشىء ، فالزمخشرى يعد بحق أول من حدد مفهوم هذا الفن من فنون البلاغة ، ووضح صوره التى يجىء عليها ، وبين قيمته البلاغية التى من أجلها يعدل إليه البليغ فى كلامه . ومن جاء بعد الزمخشرى كانوا عيالا عليه فى كل هذا ، فاقتبسوا تحليلاته الرائعة لقيمة أسلوب الالتفات العامة والخاصة . وبعضهم لم ينتفع بشىء مما قاله الزمخشرى فى صوره ، فبحثوها بحثا جافا لا روح فيه ، ولم يقفوا عند النصوص التى استشهدوا بها لصور هذا الفن كما صنع السكاكى والخطيب وشراح التلخيص .

ولنا مع الزمخشرى وقفات أخرى سنتعرض لها عند كلامنا عن الالتفات عند السكاكى وابن الأثير .

---

(١) الكشاف ٢ : ١٢٣ (٢) الكشاف ١ : ٥٣٨

أسلوب الإلتفات عند السكاكى :

كان تأثر السكاكى بالزمخشرى واضحا فى الإلتفات، فقد أشار إلى أن الكلام إذا انتقل من أسلوب إلى أسلوب كان أدخل فى القبول عند السامع ، وأحسن تطرية لنشاطه ، وأملأ باستدرار إصغائه . وأن مواقعه تختص بلطائف معان قلما تصح إلا لأفراد بلغائهم ، أو للحذاق المهرة فى هذا الفن (١) .

وهذا تلخيص لقيمة الإلتفات كما ذكره الزمخشرى . وقد أخذ عن الكشاف معنى الإلتفات ، وقد خالفه البلاغيون فى هذا ، فقد ذكر أن امرؤ القيس قد التفت فى قوله :

تطاول ليلك بالإثمد ونام الخلى ولم ترقد
وبات وباتت له ليلة كليلة ذى العائر الأرمد
وذلك من نبأ جاءنى وخبرته عن أبى الأسود

وجمهور البلاغيين - كما تقدم - لا يرون التفاتا فى البيت الأول ، لأن الإلتفات لا يقع عندهم إلا بعد جريان الأسلوب على طريقة من الطرق الثلاثة ثم يعدل عنها إلى غيرها ، وإنما هو من قبيل التجريد .

القيمة البلاغية لأسلوب الإلتفات عند السكاكى:

إذا حاول السكاكى بيان مواقع الإلتفات ، وكشف قيمتها الفنية فى النصوص الأدبية نجده - كما يقول الدكتور أبو موسى - بين حالين : حال يكون فيها مجيداً فى الكشف والتحليل عن موقع هذه الطريقة ، وذلك إذا

---

(١) ينظر المفتاح : ٨٦

كان يصدر عن تأثر بصاحب الكشاف ، إما لأنه سبقه ببيان الالتفات فى هذا النص ولطف موقعه ، وإما لأنه ـ أى السكاكى ـ جرى فيه على طريقة الزمخشرى فى نص آخر . وحال لا يكون فيها بعيدا ولا قريبا من الإجادة وذلك إذا اعتمد على مقدرته الأدبية واستقل بفهمه وذوقه ، فإنه فى كثير من هـــذه الحالات يحوم ولا يقع على شىء يعتد به (١) .

مثاله فى الحالة الاولى ما يقوله فى قوله تعالى : (إياك نعبد وإياك نستعين) أليس مما يشهد له الوجدان بحيث يغنيه عن شهادة ما سواه أن المرء إذا أخذ فى استحضار جنايات جان متنقلا فيها عن الإجمال إلى التفصيل وجد من نفسه تفاوتا فى الحال بينا لا يكاد يشبه آخر حاله هناك أولها ، أو ما تراك إذا كنت فى حديث مع إنسان وقد حضر مجلسك من له جنايات فى حقك كيف تصنع ؟ تحول عن الجانى وجهك ، وتأخذ فى الشكاية عنه إلى صاحبك تبثه الشكوى معدداً جناياته واحدة فواحدة ، وأنت فيما بين ذلك واجد مزاجك يحمى على تزايد يحرك حالة لك غضبية تدعوك إلى أن تواثب ذلك الجانى وتشافهه بكل سوء ، وأنت لا تجيب ، إلى أن تغلب فتقطع الحديث مع الصاحب ، ومباثتك إياه ، وترجع إلى الجانى مشافهتها له ، بالله قل لى هل عامل أحد مثل هذه المعاملة ؟ هل يتصور معاملة أسوأ مما فعلت ؟ أما كان لك حياء يمنعك ؟ أما كانت لك مروءة تردعك على هذا ؟ وإذا كان الحاضر لمجلسكما ذا نعم عليك كثيرة فإذا أخذت فى تعديد نعمه عند صاحبك مستحضراً لتفاصيلها أحسست من نفسك بحالة كأنها تطالبك بالإقبال على منعمك ، وتزين لك ذلك ، ولا تزال تتزايد مادمت فى تعداد نعمه حتى تحميك من حيث لا تدرى على أن تحمده وأنت معه فى الكلام تثنى عليه ، وتدعو له ، وتقول بأى لسان أشكر

---

(١) البلاغة القرآنية : ٥٠٨ .

صنائعك الرواتع ، وبأية عبارة أحصر عوارفك الذوارف ، وما جرى ذلك المجرى [١] .

وقد ذكر الزمخشري مثل هذا في مواطن كثيرة من الكشاف ، وقد بيناها في دراسة الإلتفات عنده .

ومثاله في الحالة الثانية ما يقوله في أبيات امرىء القيس السابقة بعد ما نوه بمكانة الشاعر وفحولته : وكان يمكنه ألا يلتفت البتة وذلك أن يسوق الكلام على الحكاية في الابيات الثلاثة فيقول :

تطاول ليلك بالإثمد ونام الخلي ولم أرقد

وبت وبات لنا ليلة • كقول لبيد : • فوقفت أسألها وكيف سآلنا

• أو أن يلتفت نوعا واحدا فيقول : وبت وبات لكم ، وذلك من نبأ جاءكم وخبرتم عن أبي الاسود . أن يكون حين قصد تهويل الخطب واستفظاعه في النبأ الموجع ، والخبر المفجع للواقع الفات في العضد ، المحرق للقلب والكبد ، فعل ذلك منبها في التفاته الاول على أن نفسه وقت ورود ذلك النبأ عليها ولهت وله الثكلى ، فأقامها مقام المصاب الذي لا يتسلى بعض التسلي إلا بتفجع الملوك له وتحزنهم عليه ، وأخذ يخاطبه بتطاول ليلك تسلية ، أو نبه على أن نفسه لفظاعة شأن النبأ واستشعارها معه كمدا وارتماضا أبدت قلقا لا يقلقه كمد ، وضجر لا يضجره مرتمض ، وكأن من حقها أن تثبت وتصبر ، فعل الملوك وجريا على سننها المسلوك عند طوارق النوائب وبوارق المصائب ، فحين لم تفعل شككته في أنها نفسه ، فأقامها مقام مكروب ذي حرق ، قائلا له: تطاول ليلك ، مسليا .

---

(١) ينظر المفتاح : ٨٧

وفى التفاته الثانى على أن المتحزن تحزن صدق ، ولذلك لا يتفاوت الحال خاطبتك أم لم أخاطبك

وفى التفاته الثالث على أن جميع ذلك إنما كان لما خصه ولم يتعداه إلى من سواه [١] .

وهكذا تدور النكات البلاغية الالتفات فى هذه الابيات حول مكانة الشاعر الإجتماعية ، إذ أنه ملك وتفجع الملوك تفجع له شأنه وقلق نفوسهم لا يكون إلا لأمر خطير ، ولو كان شاعرنا غير ملك لما كان لهذا التصرف قيمة .

والسكاكى له رأى عجيب ، يذكر فى هذا الصدد ، وهو أنه يستمد قيمة الخصائص البلاغية فى الاسلوب من قيمة قائلها ، لذلك لا يعتد بخواص التراكيب إلا إذا كانت قد صدرت من بليغ ، فهو لا ينظر للخصوصية من حيث هى ، وإنما يعنى بالصنعة المقصودة والإحتفال المتعمد من القائل ، فلو صدرت التراكيب البليغة من غير بليغ سقطت قيمتها ، وليس من حقك أن تعجب بالنص قبل أن تعرف قدر قائله .

يقول فى شرحه لتعريف علم المعانى : وأعنى بخاصية التراكيب ما سبق منه إلى الفهم عند سماع ذلك التركيب جاريا مجرى اللازم له لكونه صادراً عن البليغ ، لا لنفس ذلك التركيب من حيث هو هو [٢] .

---

(١) ينظر المفتاح : ٨٨

(٢) المفتاح : ٧٠ ، والبلاغة القرآنية : ٥٠٩ — ٥١٠

أسلوب الالتفات عند ضياء الدين بن الاثير والعلامة العلوى

من يقارن مفهوم الإلتفات عند ابن المعتز وقدامة ، ثم يتابع مفهومه عند غيرهم من أمثال أبي هلال العسكرى، وابن رشيق ، يجد أن منهم من يستوحى مفهوم الإلتفات عند ابن المعتز أو قدامة . ومنهم من يخلط بين هـــذا الفن والإعتراض والتذييل .

وخير من عرض لموضوع الإلتفات بعد الإمام الزمخشرى هو ضياء الدين ابن الأثير . فقد عالجه بوضوح وفهم لأسراره البلاغية ، ولهذا آثرنا أن ننقل هنا خلاصة لكلامه عن الإلتفات، توضح حقيقته ووظيفته البلاغية ، وتجنبنا الخلط الكثير الذى وقع فيه غيره من البلاغيين .

حقيقة الإلتفات عند ابن الأثير :

يستهل ابن الاثير كلامه عن هذا الفن البلاغى ببيان حقيقته فيقول : وحقيقته مأخوذة من التفات الإنسان عن يمينه وشماله ، فهو يقبل بوجهه تارة كذا وتارة كذا ، وكذلك يكون هذا النوع من الكلام خاصة ، لأنه ينتقل فيه من صيغة إلى صيغة ، كالإنتقال من خطاب حاضر إلى غائب ، أو من خطاب غائب إلى حاضر ، أو من فعل ماض إلى مستقبل ، أو من مستقبل إلى ماض ، أو غير ذلك مما يأتى ذكره مفصلا .

ويسمى أيضاً شجاعة العربية ، وإنما سمى بذلك لان الشجاعة هى الإقدام، وذلك أن الرجل الشجاع يركب ما لا يستطيعه غيره ، ويتورد ما لا يتورده

سواه ، وكذلك هذا الإلتفات فى الكلام ، فإن اللغة العربية تختص به دون غيرها من اللغات[١] .

كلام ابن الاثير هذا بيان لحقيقة الإلتفات اللغوية ، أما تعريفه تعريفاً إصطلاحيا فهذا ما لم يتعرض له ابن الاثير ، ولكن من كلامه هذا ومن تقسيمه له إلى ثلاثة أقسام يمكننا أن نقول إنه يرى أن الإلتفات هو نقل الكلام من حالة إلى حالة أخرى ، وعلى ذلك سار ابن قيم الجوزية فى كتابه : الفوائد المشوق إلى علوم القرآن وعلم البيان[٢] ، فهما يريان أن الإلتفات هو الإنتقال من أسلوب إلى أسلوب آخر ، ولا يشترطان فى هذا النقل شرطا ، ولا يقيدانه بقيد .

فائدة الإلتفات بين الزمخشرى وابن الأثير :

يقول ابن الأثير عن القيمة البلاغية للإلتفات : وهذا النوع وما يليه هو خلاصة علم البيان التى حولها يدندن وإليها تستند البلاغة وعنها يعنعن . ويرى أن الإلتفات تختص به اللغة العربية دون غيرها من اللغات[٣] .

وبعد أن يقسم الالتفات إلى ثلاثة أقسام ، يحاول أن يجد علة وسرا لهذا الحسن الكامن فى هذه الطريقة ، ويرفض فى هذا ما قاله البلاغيون فى سر حسن الالتفات ، وهو أنه من عادة العرب وافتنانهم فى أساليب كلامهم ، ويسمى مثل هذا التعليل بمكاز الأعمى ، وهو على حق فى هذا لو أن البلاغيين قبله قد

---

(١) المثل السائر : ٢٥٤

(٢) الفوائد : ١٠٠

(٣) ينظر المثل السائر : ٢٥٤

اكتفوا بهذا القدر من التعليل لحسن الالتفات ، فإن بيان أسرار البلاغة لا يكتفى فيها بهذا القول، إذ أننا محتاجون دائماً إلى معرفة السبب الذى قصد العرب ذلك من أجله حتى صار من عادتهم فى أساليب كلامهم .

لكن الزمخشرى — كما ذكرنا فيما تقدم — ذكر القيمة البلاغية لهذا الفن وسر تأثيره ، وأفاض فى هذا ، ولكن ابن الاثير حاول أن يغمطه هذا الحق ، فذكر بعض كلامه وناقشه فيه ، ورفضه ، ولكنه لم يلبث أن رجع إليه فأخذ منه تحليلاته الفنية الفذة[1] .

يقول ابن الأثير : وقال الزمخشرى رحمه الله : إن الرجوع من الغيبة إلى الخطاب إنما يستعمل للتفنن فى الكلام والإنتقال من أسلوب إلى أسلوب تطرية لنشاط السامع وإيقاظاً للاصغاء إليه ، وليس الأمر كما ذكره ، لأن الانتقال فى الكلام من أسلوب إلى أسلوب إذا لم يكن إلا تطرية لنشاط السامع وإيقاظاً للاصغاء إليه فإن ذلك دليل على أن السامع يمل من أسلوب واحد فينتقل إلى غيره ليجد نشاطا للاستماع ، وهذا قدح فى الكلام لا وصف له ، لانه لو كان حسناً لما مل[2] .

وليس إيقاظ السامع وإثارته وتجديد نشاطه دليلا على عيب الكلام وقدحه كما زعم ابن الأثير ، بل لأن الإنسان كثير التقلب ، وقلبه بين أصبعين من أصابع الرحمن ، ويقلبه كيف يشاء، فإنه يكون غائباً فيحضر بكلمة واحدة، وآخر يكون حاضرا فيغيب ، فالله تعالى لما قال : (الحمد لله رب العالمين) تنبه السامع وحضر قلبه ، فقال : (إياك نعبد وإياك نستعين) .

---

(١) البلاغة القرآنية : ٥٤١ ، والمثل السائر : ٢٥٥

(٢) المثل السائر : ٢٥٥

ولا يعيب الكلام البليغ ولا يقدح فيه أن يكون القصد من نقله من أسلوب إلى أسلوب آخر التطرية واستدرار السامع وتجديد نشاطه وصيانة خاطره من الملال والضجر ، بدوام الأسلوب الواحد على سمعه كما قيل :

لا يصلح النفس إن كانت مصرفة إلا التنقل من حال إلى حال

قال حازم القرطاجنى فى « منهاج البلغاء » ، وهم يسأمون الاستمرار على ضمير متكلم أو ضمير مخاطب ، فينتقلون من الخطاب إلى الغيبة ، وكذلك أيضاً يتلاعب المتكلم بضميره فتارة يجعله تاء على جهة الإخبار عن نفسه ، وتارة يجعله كافا فيجعل نفسه مخاطبا ، وتارة يجعله هاء فيقيم نفسه مقام الغائب ، فلذلك كان الكلام المتوالى فيه ضمير المتكلم والمخاطب لا يستطاب ، وإنما لحسن الانتقال من بعضها إلى بعض (١) .

والزمخشرى لم يقف عند هذه العلة وحدها ، بل ذكر — كما تقدم — أن مواضعه تختص بفوائد ذكر لها أمثلة وشواهد وقد أحسن ابن أبى الحديد حين رفض هذا الاعتراض من ابن الأثير على الزمخشرى ، وذكر أن الملال لا يكون إلا من الحسن المستعذب وأنهم يستقبحون قول من يقول : قد ملل المحبوس من الحبس والمضروب من الضرب (٢) .

ثم يقول ابن الأثير : ولو سلمنا إلى الزمخشرى ما ذهب إليه لكان إنما يوجد ذلك فى الكلام المطول ، ونحن نرى الأمر بخلاف ذلك ، لأنه قد ورد الانتقال من الغيبة إلى الخطاب ومن الخطاب إلى الغيبة فى مواضع كثيرة

---

(١) البرهان فى علوم القرآن ٣ : ٣١٤

(٢) البلاغة القرآنية : ٥٣٢

من القرآن ، ويكون مجموع الجانبين مما يبلغ عشرة ألفاظ أو أقل من ذلك (١) .

وليس الأمر كما زعم ابن الأثير فإن إيقاظ السامع وإثارته وجذب انتباهه لا يستلزم كلاما مطولا ، وقد رد ذلك ابن أبي الحديد واعتبر هذا من العرب شدة اهتمام وعناية بالإفهام ، فوقع ذلك فى قصير كلامهم كما وقع فى طويله (٢) .

ويقول ابن الأثير : ومفهوم قول الزمخشرى فى الالتفات من أسلوب إلى أسلوب إنما يستعمل قصداً للمخالفة بين المنتقل عنه والمنتقل إليه لا قصداً لاستعمال الأحسن ، وعلى هذا فإذا وجدنا كلاما قد استعمل فى جميعه الإيجاز ولم ينتقل عنه ، أو استعمل فى جميعه الإطناب ولم ينتقل عنه ، وكان كلا الفريقين واقعاً فى موقعه ، قلنا هذا ليس بحسن ، إذ لم ينتقل فيه من أسلوب إلى أسلوب وهذا قول فيه ما فيه (٣) .

والحق أن ابن الأثير قد تعسف حين حمل كلام الزمخشرى على هذا المعنى وذهب به هذا المذهب ، فليس مراد الزمخشرى أن الانتقال يكون قصداً للمخالفة بين المنتقل عنه والمنتقل إليه ، وإنما يكون قصداً لإثارة السامع وتجديد نشاطه بهذه المخالفة ، ومن هنا يحسن الالتفات مع ملاحظة خصوصيات المقامات التى تنبه إليها الزمخشرى ، وقد أحسن فى هذا .

ولا يلزم من هذا أن يقال إن الإيجاز الواقع موقعه الذى لا إنتقال فيه ،

---

(١) المثل السائر : ٢٥٥ (٢) البلاغة القرآنية : ٥٤٢

(٣) المثل السائر : ٢٥٥

وإن الإطناب الواقع موقعه الذى لا إنتقال فيه أيضاً كلاهما غير حسن ، لأن الإنتقال ليس شرطاً لازماً للحسن ، ولا يفهم هذا من كلام الزمخشرى . وقد أحسن ابن أبى الحديد حين قال فى هذا : إن هذا الإعتراض من أظرف ما يحكى ، وذلك أن الزمخشرى لم يجعل حسن الكلام مقصوراً على الالتفات كالشروط التى تعدم عند عدم مشروطها ، ولكنه قال إن الالتفات مما تستعمله العرب ، ووجه استعمالها له أن يحصل فيه نوع تنبيه ما للسامع وتجديد لنشاطه إلى سماع الخطاب ، فلا يلزم من ذلك أن كل خطاب لا التفات فيه فإنه لا يكون حسناً إذا قلنا : إنما حسن استعمال المطابقة والتجنيس الشعر لكذا وكذا لا يلزم منه أن يكون كل شعر لا تجنيس فيه ولا مطابقة غير حسن . . . فقد بان أن هذا الموضع ما ذهب على الزمخشرى وإنما ذهب على من اعترضه[1] .

ثم قال ابن الأثير : والذى عندى فى ذلك أن الانتقال من الخطاب إلى الغيبة أو من الغيبة إلى الخطاب لا يكون إلا لفائدة اقتضته ، وتلك الفائدة أمر وراء الانتقال من أسلوب إلى أسلوب ، غير أنها لا تحد بحد ولا تضبط بضابط ، ولكن يشار إلى مواضع منها ليقاس عليها غيرها[2] .

وهذه الفائدة التى تكمن وراء الانتقال من أسلوب إلى أسلوب والتى لا تحد بحد ولا تضبط بضابط قد أشار إليها الزمخشرى بقوله بعد ما ذكر التطرية والإيقاظ : وقد تختص مواقعه بفوائده[3] . وقد ذكر ابن الأثير كلام الزمخشرى وكثير من المواضع التى ذكرها لقياس عليها غيرها ، كما سنشير إليه عند الحديث عن أقسام الالتفات عنده .

---

(١) البلاغة القرآنية : ٥٤٢ ، ٥٤٣ (٢) المثل السائر : ٢٥٥

(٣) الكشاف ١ : ٦٤

أقسام الالتفات عند ابن الأثير :

قسم ابن الأثير الالتفات ثلاثة أقسام :

القسم الأول: فى الرجوع من الغيبة إلى الخطاب ، ومن الخطاب إلى الغيبة .

القسم الثانى: فى الرجوع عن الفعل المستقبل إلى فعل الأمر ، وعن الفعل الماضى إلى فعل الامر .

القسم الثالث : فى الإخبار عن الفعل الماضى بالمستقبل ، وعن المستقبل بالفعل الماضى .

فالقسم الاول وهو الخاص بالرجوع من الغيبة إلى الخطاب ومن الخطاب إلى الغيبة ، مثل له بأمثلة كثيرة نشير إلى بعضها قصداً للإيجاز .

فمن الإلتفات بالرجوع والعدول عن الغيبة إلى الخطاب قوله تعالى :(وقالوا اتخذ الرحمن ولدا . لقد جئتم شيئا إدا) . وإنما قيل: (لقد جئتم) وهو خطاب للحاضر بعد قوله : (وقالوا اتخذ الرحمن ولدا) وهو خطاب للغائب لفائدة حسنة ، وهى تسجيل القول بالجرأة على الله ، والتعرض لسخطه ، وتنبيه على عظم ما قالوه ، كأنه يخاطب قوماً حاضرين بين يديه منكراً عليهم وموبخاً لهم [1] :

ويقول الزمخشرى فى هذه الآية : وفى قوله (لقد جئتم) وما فيه من المخاطبة بعد الغيبة وهو الذى يسمى الالتفات فى علم البلاغة زيادة تسجيل عليهم بالجرأة على الله والتعرض لسخطه وتنبيه على عظم ما قالوا [2] .

---

(١) المثل السائر : ٢٠٦ (٢) الكشاف ٢ : ٥٢٦

ثم يقول ابن الاثير : ومما ينخرط فى هذا السلك من الالتفات الرجوع من خطاب النفس إلى خطاب الجماعة ـ أى من التكلم إلى الخطاب ـ كقوله تعالى : (ومالى لا أعبد الذى فطرنى وإليه ترجعون) وإنما صرف الكلام عن خطاب نفسه إلى خطابهم ، لأنه أبرز الكلام لهم فى معرض المناصحة وهو يريد مناصحتهم ليتلطف بهم ويداريهم ، لان ذلك أدخل فى إمحاض النصح حيث لا يريد لهم إلا ما يريد لنفسه ، وقد وضع قوله : (ومالى لا أعبد الذى فطرنى) مكان قوله : (ومالكم لا تعبدون الذى فطركم) ألا ترى إلى قوله : (وإليه ترجعون) ولولا أنه قصد ذلك لقال : الذى فطرنى وإليه أرجع . وقد ساقه ذلك المساقة إلى أن قال : (إنى آمنت بربكم فاسمعون) (١) .

ويقول الزمخشرى فى هذه الآيه : ثم أبرز الكلام فى معرض المناصحة لنفسه وهو يريد مناصحتهم ليتلطف بهم ويداريهم ، ولانه أدخل فى إمحاض النصح حيث لا يريد لهم إلا ما يريد لروحه ، ولقد وضع قوله: (ومالى لا أعبد الذى فطرنى) مكان قوله : ومالكم لا تعبدون الذى فطركم ، ألا ترى إلى قوله (وإليه ترجعون) ولولا أنه قصد ذلك لقال : الذى فطرنى وإليه أرجع (٢) .

. . .

ومن الالتفات بالرجوع أو العدول عن الخطاب إلى الغيبة قوله تعالى : (يا أيها الناس إنى رسول الله إليكم جميعاً الذى له ملك السموات والأرض لا إله إلا هو يحى ويميت فآمنوا بالله ورسوله النبى الأمى الذى يؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون) فانه إنما قال: (آمنوا بالله ورسوله) ولم يقل : فآمنوا بالله وبى ، عطفا على قوله (إنى رسول الله إليكم جميعاً) لكى تجرى عليه الصفات التى أجريت عليه ، وليعلم أن الذى وجب الايمان به والاتباع له هو هـذا

---

(١) المثل السائر : ٢٥٨ ، ٢٥٨ (٢) ينظر الكشاف ٣ : ٣١٩ .

الشخص الموصوف بأنه النبي الأمي الذي يؤمن بالله وبكلماته كائنا من كان أنا أو غيري إظهاراً للنصفة وبعداً من التعصب لنفسه[١] .

وهذا هو نفس كلام الزمخشري في هذه الآية[٢] ، وقد ذكرناه فيما تقدم.

وقريب من هذا التوافق بين ما ذكره الزمخشري وما يذكره ابن الأثير ما ذكره في قوله تعالى : (هو الذي يسيركم في البر والبحر حتى إذا كنتم في الفلك وجرين بهم بريح طيبة ..) الآية . فانه إنما صرف الكلام ها هنا عن الخطاب إلى الغيبة لفائدة وهي أنه ذكر لغيرهم حالهم ليعجبهم منها كالمخبر لهم ويستدعي منهم الإنكار عليهم ، ولو قال : حتى إذا كنتم في الفلك وجرين بكم بريح طيبة وفرحتم بها ، وساق الخطاب لهم إلى آخر الآية لذهبت تلك الفائدة التي أنتجها خطاب الغيبة ، وليس ذلك بخاف عن نقدة الكلام[٣] .

ويقول الزمخشري : فإن قلت : ما فائدة صرف الكلام عن الخطاب إلى الغيبة ؟ قلت : المبالغة كأنه يذكر لغيرهم حالهم ليعجبهم منها ويستدعي منهم الإنكار والتقبيح[٤] . فقد ذكر ابن الأثير كلام الزمخشري وزاد عليه زيادة لا تعدو أن تكون شرحاً لهذا الكلام لا يضيف إليه شيئاً[٥] .

. . .

والقسم الثاني من الالتفات عند ابن الأثير هو الرجوع أو العدول عن الفعل المستقبل إلى فعل الأمر ، وعن الفعل الماضي إلى فعل الأمر .

---

(١) المثل السائر : ٢٥٩
(٢) ينظر الكشاف ٢ : ١٢٣
(٣) « « : ٢٥٩
(٤) « « ٢ : ٢٢١
(٥) ... غة القرآنية : ٥٤٤

يقول ابن الأثير : وهذا القسم كالذى قبله فى أنه ليس الانتقال فيه من صيغة إلى صيغة طلباً للتوسع فى أساليب الكلام فقط ، بل لأمر وراء ذلك ، وإنما يقصد إليه تعظيما لحال من أجرى عليه الفعل المستقبل وتفخيما لأمره ، وبالضد من ذلك فيمن أجرى عليه فعل الأمر (١) .

فمن الالتفات بالرجوع أو العدول عن فعل المستقبل إلى فعل الأمر . قوله تعالى : (يا هود ما جئتنا ببينة وما نحن بتاركى آلهتنا عن قولك وما نحن لك بمؤمنين ، إن نقول إلا اعتراك بعض آلهتنا بسوء قال إنى أشهد الله واشهدوا أنى برىء مما تشركون) .

فإنه إنما قال (أشهد الله واشهدوا) ولم يقل وأشهدكم ، ليكون موازناً له ومعناه ، لأن إشهاده الله على البراءة من الشرك صحيح ثابت ، وأما إشهادهم فما هو إلا تهاون بهم ودلالة على قلة المبالاة بأمرهم ، ولذلك عدل به عن لفظ الأول لاختلاف ما بينهما ، وجىء به على لفظ الأمر كما يقول الرجل لمن يبس الثرى بينه وبينه : اشهد علىّ أنى لا أحبك ، تهكما به واستهانة بحاله (٢) .

ويقول الزمخشرى فى هذه الآية : فإن قلت : هلا قيل : إنى أشهد الله وأشهدكم : قلت : لأن إشهاد الله على البراءة من الشرك إشهاد صحيح ثابت فى معنى تثبيت التوحيد وشد معاقده ، وأما إشهادهم فما هو إلا تهاون بدينهم ودلالة على قلة المبالاة بهم لحسب ، فعدل به عن لفظ الأول لاختلاف ما بينهما وجىء به على لفظ الأمر بالشهادة كما يقول الرجل لمن يبس الثرى بينه وبينه :

(١ و ٢) المثل السائر : ٢٦٠

أشهد على أنى لا أحبك ، تهكما به واستهانة بحاله [٢] .

ومن الالتفات بالرجوع أو العدول عن الفعل الماضى إلى فعل الأمر بغرض التوكيد لما أجرى عليه فعل الأمر لمكان العناية بتحقيقه . قوله تعالى : (قل أمر ربى بالقسط وأقيموا وجوهكم عند كل مسجد وادعوه مخلصين له الدين كما بدأكم تعودون) وكان تقدير الكلام : أمر ربى بالقسط وبإقامة وجوهكم عند كل مسجد ، فعدل عن ذلك إلى فعل الأمر للعناية بتوكيده فى نفوسهم ، فإن الصلاة من أوكد فرائض الله على عباده ، ثم أتبعها بالإخلاص الذى هو عمل القلب ، إذ عمل الجوارح لا يصح إلا بإخلاص النية ، ولذا قال النبى ﷺ : « إنما الأعمال بالنيات » [٢] .

. . .

أما القسم الثالث والأخير من أقسام الإلتفات عند ابن الأثير فهو الخاص بالإخبار عن الفعل الماضى بالمستقبل ، وعن المستقبل بالفعل الماضى .

ويذكر ابن الأثير أن عطف المستقبل على الماضى يكون على ضربين : أحدهما بلاغى وهو إخبار عن ماض بمستقبل ، أو ما يستعمل فيه المستقبل للدلالة على حدث قد مضى . والضرب الآخر غير بلاغى وليس إخباراً بمستقبل عن ماض ، وإنما هو مستقبل دل على مستقبل غير ماضى ، ويراد به أن ذلك الفعل مستمر الوجود لم يمض ، أو هو ما يستعمل فيه المستقبل للدلالة على حدث يقع فى المستقبل .

---

(١) الكشاف ٢ : ٢٧٦ .

(٢) المثل السائر : ٢٦٠ ، ٢٦١

فالضرب الأول كقوله تعالى : (والله الذى أرسل الرياح فتثير سحاباً فسقناه إلى بلد ميت فأحيينا به الأرض بعد موتها كذلك النشور) فإنه إنما قال (فتثير) مستقبلا وما قبله وما بعده ماض لذلك المعنى الذى أشرنا إليه ، وهو حكاية الحال التى يقع فيها إثارة الرياح السحاب واستحضار تلك الصورة البديعة الدالة على القدرة الباهرة ، وهكذا يفعل بكل فعل فيه نوع تمييز وخصوصية كحال تستغرب أو تهم المخاطب أو غير ذلك .

ثم يحكى حديث الزبير بن العوام رضى الله عنه الذى أخبر فيه أنه لقى عبيدة بن سعيد بن العاص وهو على فرسه وعليه لامته كاملة لا يرى منه إلا عيناه . قال الزبير : وفى يده عنزة فأطعن بها فى عينيه فوقع وأطأ برجلى على خده حتى حضرت العنزة متعقفة .

يقول ابن الأثير ، فقوله : فأطعن بها فى عينه وأطأ برجلى ، معدول به عن لفظ الماضى إلى المستقبل ليمثل للسامع الصورة التى فعل فيها ما فعل من الإقدام والجراءة على قتل هذا الفارس المستلئم .

ثم يقول ابن الأثير : وعلى هذا ورد قول تأبط شراً :

بأنى قد لقيت الغول تهوى بسهب كالصحيفة صحصحان
فأضربها بلا دهش فخرت صريعاً لليدان وللجران

فإنه قصد أن يصور لقومه الحال التى تشجع فيها على ضرب الغول كأنه يبصرهم إياها مشاهدة للتعجب من جراءته على ذلك الهول ، ولو قال فضربتها عطفاً على الأول لزالت هذه الفائدة المذكورة (١) .

---

(١) المثل السائر : ٢٦١ ، ٢٦٢

وهذا مأخوذ من كلام الزمخشري في هذه الآية ، وقد أضاف إليه ابن الأثير حديث الزبير بن العوام [1] .

أما الضرب الثاني وهو الفعل المستقبل الذي يدل على معنى مستقبل غير ماض ويراد به أنه فعل مستمر الوجود لم يمض فكقوله تعالى : (إن الذين كفروا ويصدون عن سبيل الله) فإنه إنما عطف المستقبل على الماضي لأن كفرهم كان ووجد ولم يستجدوا بعده كفراً ثانيا ، وصدهم متجدد على الأيام لم يمض كونه وإنما هو مستمر يستأنف في كل حين [2] .

ومن هذا الضرب أيضاً قوله تعالى : (ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فتصبح الأرض مخضرة إن الله لطيف خبير) .

يقول ابن الأثير : ألا ترى كيف عدل عن لفظ الماضي هاهنا إلى المستقبل فقال : (فتصبح الأرض مخضرة) ولم يقل فأصبحت عطفاً على أنزل ، وذلك لإفادة بقاء أثر المطر زماناً بعد زمان ، فإنزال الماء مضى وجوده واخضرار الأرض باق لم يمض . وهذا كما تقول : أنعم على فلان فأروح وأغدو شاكراً له ، ولو قلت : فرحت وغدوت شاكراً له لم يقع ذلك الموقع ، لأنه يدل على ماض قد كان وانقضى ، وهذا موضع حسن ينبغي أن يتأمل [3]

يقول الدكتور محمد أبو موسى : وقد ذكر ابن الأثير شواهد هذا الضرب من تحليلات الزمخشري في الكشاف ، وهذا حق فما ذكره ابن الأثير في الآيتين هو من تحليلات الزمخشري لهما ، فإنه قال : يقال فلان يحسن إلى الفقراء وينعش المضطهدين ، لا يراد حال ولا استقبال وإنما يراد استمرار وجود الإحسان منه والنعشة في جميع أزمنته وأوقاته ، ومنه قوله تعالى : (ويصدون عن سبيل الله) أي الصدود منهم مستمر دائم [4] .

---

(١) ينظر الكشاف ٣ : ٣٠١ ، ٣٠٢ ، والبلاغة القرآنية : ٥٤٦

(٢) المثل السائر : ٢٦٢ (٢) المثل السائر : ٢٦٣ (٣) الكشاف ٣ : ١٠ ، وينظر الكشاف أيضاً ٣ : ٢١ ، والبلاغة القرآنية : ٥٤٩

ثم يقول الدكتور محمد أبو موسى : ولست أدرى لماذا كان هذا القسم غير بلاغى؟ أليست البلاغة نظراً فيما تنطوى عليه خصائص الألفاظ وأحوالها لإبراز معانيها وبيان لطائفها ومطابقتها لسياق الكلام ؟ وأليس هذا داخلا فى أحوال اللفظ التى بها يطابق مقتضى الحال ؟ وأليس هذا موضعاً حسنا ينبغى أن يتأمل كما يقول (١) .

. . .

ومن الالتفات الإخبار بالفعل الماضى عن المستقبل ، وهو عكس ما تقدم ذكره ، والغرض منه توكيد تحقق الفعل وإيجاده ، لأن الفعل الماضى يعطى من المعنى أنه قد كان ووجد . وإنما يفعل ذلك إذا كان الفعل المستقبل من الأشياء العظيمة التى يستعظم وجودها . والفرق بينه وبين الاخبار بالفعل المستقبل عن الماضى أن الغرض بذلك تبين هيئة الفعل واستحضار صورته ليكون السامع كأنه يشاهدها ، والغرض بهذا — أى بالاخبار بالماضى عن المستقبل — هو الدلالة على إيجاد الفعل الذى لم يوجد .

فمن أمثلة الإخبار بالفعل الماضى عن المستقبل قوله تعالى : (ويوم ينفخ فى الصور ففزع من فى السموات ومن فى الأرض) فإنه إنما قال : (ففزع) بلفظ الماضى بعد قوله (ينفخ) وهو مستقبل الاشعار بتحقيق الفزع ، وأنه كائن لا محالة ، لأن الفعل الماضى يدل على وجود الفعل وكونه مقطوعا به .

وكذلك جاء قوله تعالى : (ويوم نسير الجبال وترى الأرض بارزة وحشرناهم فلم نغادر منهم أحدا) وإنما قيل : (وحشرناهم) ماضيا بعد (نسير ونرى) وهما مستقبلا للدلالة على أن حشرهم قبل التسيير والبروز ليشاهدوا

---

(١) البلاغة القرآنية : ٥٤٧ .

تلك الأحوال ، كأنه قال : وحشرناهم قبل ذلك لأن الحشر هو المهم ، لأنه من الناس من ينكره كالفلاسفة وغيرهم ، ومن أجل ذلك ذكر بلفظ الماضى .

ومما يجرى هذا المجرى الإخبار باسم المفعول عن فعل المستقبل ، وإنما يفعل ذلك لتضمنه معنى الفعل الماضى ، وقد سبق الكلام عليه ، فمن ذلك قوله تعالى : (إن فى ذلك لآية لمن خاف عذاب الآخرة ذلك يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود) فإنه إنما آثر اسم المفعول الذى هو (مجموع) على الفعل المستقبل الذى هو يجمع ، لما فيه من الدلالة على ثبات معنى الجمع لليوم وأنه الموصوف بهذه الصفة ، وإن شئت فوازن بينه وبين قوله تعالى : (يوم يجمعكم ليوم الجمع) فإنك تعثر على صحة ما قلت[1] .

وهذا كله مأخوذ من تحليلات الزمخشرى فى الكشاف[2] .

وهذا لا يعنى أن ابن الأثير قد تابع الزمخشرى ونقل تحليلاته لشواهد الالتفات فى كل النصوص القرآنية التى استشهد بها ، بل انفرد بكثير من التحليلات لآيات من القرآن الكريم استشهد بها لهذا الفن، ولم يكن للزمخشرى كلام فيها أصلا ، أو كان له كلام ولكنه إشارات موجزة غير واضحة لا تكفى فى الكشف عن بلاغة الإلتفات .

ومما انفرد به ابن الأثير ما ذكره عن سر الانتقال من الغيبة إلى التكلم أو إلى خطاب النفس فى قوله تعالى : (ثم استوى إلى السماء وهى دخان فقال

---

(١) المثل السائر : ٢٦٣

(٢) ينظر الكشاف ٣ : ١٦١ ، ٢ : ٤٨٧ ، ٢ : ٢٩٢ .

لها وللارض ائتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين . فقضاهن سبع سموات في يومين وأوحى في كل سماء أمرها وزينا السماء الدنيا بمصابيح وحفظا ذلك تقدير العزيز العليم) فإنه قال :

فالآية مثال للالتفات بالعدول عن الغيبة إلى خطاب النفس ، فإنه قال : (وزينا) بعد قوله : (ثم استوى) وقوله : (فقضاهن — وأوحى) .

والفائدة في ذلك أن طائفة من الناس غير المتشرعين يعتقدون أن النجوم ليست في سماء الدنيا ، وأنها ليست حفظاً ولا رجوما ، فلما صار الكلام إلى ما هنا عدل به عن خطاب الغائب إلى خطاب النفس لأنه مهم من مهمات الاعتقاد ، وفيه تكذيب للفرقة المكذبة المعتقدة بطلانه[1] .

ومما انفرد به ابن الأثير أيضاً ما ذكره عن سر العدول عن الفعل الماضي إلى فعل الأمر الذي يكون الغرض منه التوكيد لما أجرى عليه فعل الأمر لمكان العناية بتحقيقه، في قوله تعالى: (قل أمر ربي بالقسط وأقيموا وجوهكم عند كل مسجد وادعوه مخلصين له الدين كما بدأكم تعودون) وقد تقدم كلامه عن هذه الآية ، ولم يكن للزمخشري كلام فيها .

وكذلك ما ذكره عن سر الالتفات في قوله تعالى : (سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير) قال : فقال أولا : (سبحان الذي أسرى) بلفظ الواحد ، ثم قال : (الذي باركنا) بلفظ الجمع ، ثم قال: (إنه هو السميع البصير) وهو خطاب غائب ، ولو جاء الكلام على مساق الأول لكان : سبحان الذي

---

(١) المثل السائر : ٣٥٦

أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذى بارك حوله ليريه من آياته إنه هو السميع البصير ، وهذا جميعه يكون معطوفا على أسرى ، فلما خولف بين المعطوف والمعطوف عليه فى الانتقال من صيغة إلى صيغة كان ذلك إتساعا وتفننا فى أساليب الكلام ، ولمقصد آخر معنوى هو أعلى وأبلغ ، وسأذكر ما سنح لى فيه فأقول : لما بدأ الكلام بسبحان ردفه بقوله الذى أسرى ، إذ لا يجوز أن يقال الذى أسرينا ، فلما جاء بلفظ الواحد — والله تعالى أعظم العظماء وهو أولى بخطاب العظيم فى نفسه الذى هو بلفظ الجمع — استدرك الأول بالثانى فقال : باركنا ، ثم قال : لنريه من آياتنا فجاء بذلك على نسق باركنا ، ثم قال : إنه هو عطفا على أسرى وذلك موضع متوسط للصفة لأن السمع والبصر صفتان يدركه فيهما غيره وتلك حال متوسطة خرج بهما عن خطاب العظيم فى نفسه إلى خطاب غائب ، فانظر إلى هذه الالتفاتات المترادفة فى هذه الآية الواحدة التى جاءت لمعان اختصت بها يعرفها من يعرفها ويجهلها من يجهلها (١)

هذا ما قاله ابن الأثير عن أسرار وفائدة الالتفاتات المتعددة فى هذه الآية الكريمة ، وهو كلام رائع حقاً من ابن الأثير ، لم يسبق إليه فيما نعلم . أما كلام صاحب الكشاف عن الالتفات فى هذه الآية فكان موجزاً ، وأشار إليه إشارة مختصرة ، ليست بشىء بالإضافة إلى ما قاله صاحب المثل السائر .

قال صاحب الكشاف : ولقد تصرف الكلام على لفظ الغائب والمتكلم فقيل : أسرى به ، ثم باركنا ليريه على قراءة الحسن ، ثم من آياتنا ، ثم إنه هو ، وهى طريقة الإلتفات التى هى من طرق البلاغة(٢) .

---

(١) المثل السائر / ٢٥٦ ، ٢٥٧

(٢) الكشاف ٢ : ٤٣٢

وقبل أن ننهى الكلام عن الإلتفات عند ابن الاثير نقول: إن من يقارن بين ما قاله السابقون فى الإلتفات - ما عدا الزمخشرى - وخاصة ما قاله السكاكى ومدرسته وبين ما قاله ابن الاثير فيه، يجد الفرق شاسعاً بين الفريقين، فقد بحث ابن الاثير الالتفات بحثاً منظماً، وعالجه بوضوح وفهم لاسراره البلاغية، ومن جاء بعده من البلاغيين - وخاصة العلوى فى الطراز - تابعوه فيما قال. ونقلوا تحليلاته لشواهد الإلتفات. ولم يأتوا بشىء يعتد به.

. . .

أسلوب الالتفات عند العلامة العلوى :

تأثر العلامة يحيى بن حمزة العلوى صاحب كتاب « الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الاعجاز » فى دراسه الإلتفات بما جاء فى كتاب « المثل السائر » لابن الأثير . فقد ذكر العلوى أن الإلتفات من أجل علوم البلاغة وهو أمير جنودها ، والواسطة فى قلائدها وعقودها ، وأنه سمى بذلك أخذاً له من التفات الإنسان يميناً وشمالا ، فتارة يقبل بوجهه وتارة كذا وتارة كذا ، وأن هذا حال هذا النوع من علم المعانى ، فالمتكلم ينتقل فيه من صيغة إلى صيغة ، ومن خطاب إلى غيبة ، ومن غيبة إلى خطاب ، إلى غير ذلك من أنواع الإلتفات ، وقد يلقب بشجاعة العربية ، وأن الإلتفات مخصوص باللغة العربية دون غيرها (١) .

وهذا الكلام من العلوى مأخوذ من المثل السائر .

بعد ذلك يذكر العلوى للعلماء تعريفين للالتفات ، ويرتضى منهما الأول دون الثانى . يقول : ومعناه فى مصطلح علماء البلاغة هو العدول عن أسلوب فى الكلام إلى أسلوب آخر مخالف للأول ، وهذا أحسن من قولنا : هو العدول من غيبة إلى خطاب ، ومن خطاب إلى غيبة ، لأن الأول يعم سائر الإلتفاتات كلها ، والحد الثانى إنما هو مقصور على الغيبة والخطاب لا غير ، ولا شك أن الإلتفات قد يكون من الماضى إلى المضارع ، وقد يكون على عكس ذلك ، فلهذا كان الحد الأول هو أقوى دون غيره (٢) .

---

(١) ينظر الطراز ٢ : ١٢١ ، ١٢٢

(٢) الطراز ٢ : ١٢٢

وهـــذا التعريف الذى ارتضاه العلوى الالتفات هو ما يفهم من كلام ابن الأثير فى مقدمته الالتفات ، ومن تقسيمه الالتفات إلى الأقسام الثلاثة ، التى تقدم الـكلام عنها .

. . .

فائدة الإلتفات وأثره البلاغى :

ثم يذكر العلامة العلوى بعد ذلك أقوال العلماء فى فائدة الالتفات وأثره البلاغى ، وناقش ابن الأثير فيما ناقش فيه الزمخشرى ، ورد قول ابن الاثير واتهمه بالعجز عن فهم بلاغة الكشاف ، ونوه بما ذكره الزمخشرى فى فائدة الالتفات[1] .

يقول فى هذا : القول الثالث محكى عن الزمخشرى وحاصل مقالته هو أن ورود الالتفات فى الكلام إنما يكون إيقاظاً للسامع عن الغفلة ، وتطريباً له بنقله من خطاب إلى خطاب آخر، فإن السامع ربما مل من أسلوب فينقله إلى أسلوب آخر، تنشيطا له فى الاستماع واستمالة له فى الإصغاء إلى ما يقوله . وما ذكره الزمخشرى لاغبار على وجهه ، وهو قول سديد يشير إلى مقاصد البلاغة ، ويعتضد بتصرف أهل الخطاب ، ومن مارس طرفا من علوم البلاغة ، لاح له على القرب أن ما قاله الزمخشرى قوى من جهة النظر ، يدرى كنهه النظار ، ويتعاقد عن فهمه الأغمار . وقد زعم ابن الأثير رد كلام الزمخشرى بوجهين : أحدهما أنه قال : إنما جاز الالتفات من أجل التنشيط للسامع ، واعترضه بأن الكلام لو كان فصيحاً لم يكن مملولا ، وهذا خطأ وجهل بمقاصد البلاغة ، فإن مثل هذا لا يزيل فصاحة الكلام ،ولا ينقص من بلاغته ، ولهذا فإنه لو ترك فيه الإلتفات فإنه فاق على الفصاحة ، ولكن الغرض أن خروجه من أسلوب الخطاب إلى الغيبة يزيد فى البلاغة ويحسنها ، ويكون الخطاب مع ما ذكرناه أوقع وأكشف عن المراد وأرفع .

---

(١) ينظر الطراز ٢ : ١٣٢ ، ١٣٣ ، والبلاغة القرآنية : ٦٠٠

وثانيهما قوله : إن ما قاله الزمخشري إنما يوجد الكلام المطول ، والالتفات كما يستعمل في الطويل فهو يستعمل في القصير ، وهذا فاسد أيضاً ، فإن الزمخشري لم يشترط التطويل في حسن الالتفات ، فينتقض بما ذكرته ، وإنما أراد تحصيل الإيقاظ وازدياد النشاط بذكر الإلتفات ، وهذا حاصل في الكلام سواء كان طويلا أو قصيراً . فإذن لا وجه لكلام ابن الأثير على ما قصده الزمخشري وانتحاه ومن العجب أنه شنع على الزمخشري وقال : كيف ذهب عنه معرفته مع إحاطته بفن البلاغة والفصاحة ، وما درى أن ما قاله خير مما أتى به ابن الأثير ، فإن ما أراده الزمخشري معنى يليق بالبلاغة ، ويزيدها قوة ، وما ذكره ابن الأثير رد إلى عماية ، وقول ليس له حاصل ، ولا يدرك له نهاية ، وما عابه إلا لأنه لم يطلع على أغواره ، ولا أحاط بكهنه ، ودقيق أسراره ، ولقد صدق من قال :

وكم من عائب قولا سليما ... وآفته من الفهم السقيم[1]

ولقد صدق العلوي في قوله : إن ما أراده الزمخشري معنى يليق بالبلاغة ويزيدها قوة ، وأن ما ذكره ابن الأثير قول ليس له حاصل .

هذا هو كل ما يحسب لصاحب الطراز في بحثه الالتفات ، فلم تكن له وقفات عند صور يستوضح فيها أسراره ، وإنما كان همه أن يبين موقع الالتفات في الكلام[2] ، دون أن يشير إلى سبب العدول عن التعبير الأول إلى الثاني .

ولكي لا يكون كلامنا هذا أشبه بالدعوى التي لا دليل عليها نذكر بإيجاز

---

(١) الطراز ٢ : ١٣٣ ، ١٣٤ ، ١٣٥ .

(٢) البلاغة القرآنية : ٦٠١ .

ما قاله العلامة العلوى وهو يتحدث عن صور وأقسام الالتفات .

ذكر رحمه الله أن الالتفات يرد على أضرب ثلاثة :

الضرب الأول : ما يرجع إلى الغيبة ، والخطاب ، والتكلم ، وأما الرجوع من الغيبة إلى الخطاب فمثل له بقوله تعالى : (الحمد لله رب العالمين) ثم قال بعد ذلك : (إياك نعبد وإياك نستعين) لأن ما تقدم من قوله (الحمد لله) إنما هو الغائب ، ولو أراد الخطاب لقال : الحمد لك ، لأنك أنت رب العالمين . وقوله تعالى : (حتى إذا كنتم فى الفلك) خطاب لهم ، ثم قوله بعده : (وجرين بهم) غيبة بعد الخطاب ، وهذا كثير الدور فى القرآن الكريم لمن تأمله .

وبهذه الطريقة يتكلم العلوى فى صور الالتفات ، وأقصى ما يقوله فى فائدته أن ذلك كان للإيقاظ والتنشيط كما ذكرنا(١) .

الضرب الثانى : مختص بالأفعال وهو الرجوع عن الفعل المستقبل إلى فعل الأمر ، وهذا كقوله تعالى فى قصة هود : (قال إنى أشهد الله واشهدوا أنى برىء مما تشركون من دونه) ولو أراد المساواة بين الفعلين ، لقال أشهد الله وأشهدكم . وقد يكون رجوعا عن الفعل الماضى إلى فعل الأمر ، وهذا مثاله قوله تعالى : (قل أمر ربى بالقسط وأقيموا وجوهكم عند كل مسجد) ولو جاء به على أسلوب واحد لقال : أمر ربى بالقسط ، وأمركم أن تقيموا وجوهكم .

الضرب الثالث : مختص بالأفعال كالأول ، غلا أن الأول كان الإنتقال فيه من الماضى إلى المستقبل ، وهما خبران إلى الإنشاء ، وهو فعل أمر ،

---

(١) البلاغة القرآنية : ٦٠١ ، وينظر الطراز ٢ ١٣٥ ، ١٣٦ .

وهاهنا أخبار كلها ، المنتقل عنه والمنتقل إليه ، وذلك يأتى على وجهين : الوجه الأول الانتقال عن الماضى إلى المضارع ، ومثاله قوله تعالى : (والله الذى أرسل الرياح فتثير سحابا فسقناه إلى بلد ميت فأحيينا به الأرض بعد موتها كذلك النشور) فوسط قوله (فتثير سحابا) وجاء به على جهة المضارعة والاستقبال بين فعلين ماضيين ، وهما قوله أرسل وسقناه ، والسر فى مثل هذا هو أن الفعل المستقبل يوضح الحال ، ويستحضر تلك الصورة حتى كأن الإنسان يشاهدها وليس كذلك الفعل الماضى إذا عطف ، لأنه لا يعطى هذا المعنى ولا يدل عليه ، فإذا قال فتثير على جهة الاستقبال بعد ما مضى قوله أرسل ، فإنما يكون دالا على حكاية الحال التى تقع فيها إثارة الريح للسحاب ، واستحضار لتلك الصورة البديعة الدالة على القدرة الباهرة ، وكذلك تفعل فيما هذا حاله فإنك تقرره على هذا الضابط . وهكذا ورد قوله تعالى : (إن الذين كفروا ويصدون عن سبيل الله) وإنما جاء به على صيغة المضارع ، وعدل عن عطف الماضى على الماضى تنبيهاً على أن كفرهم ثابت مستمر غير متجدد ، بخلاف الصد فإنه متجدد على مر الاوقات ، وتكرر الساعات ، فلهذا جاء به على صيغة المضارع منبهاً على ذلك ، ومن هذا النوع قوله تعالى : (ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فتصبح الأرض مخضرة) ولم يقل فأصبحت عطفاً على أنزل ، إشارة إلى أن إنزال الماء قد انقضى ومضى ، واخضرار الأرض متجدد كما تقول : أنعم على فلان ، فأروح وأغدو شاكراً له ، ولو قلت : فغدوت شاكراً له ، لم يفد تلك الفائدة[1]

وما ذكره العلوى فى هذه الآيات الثلاث من تحليلات مأخوذة من المثل السائر ، والتى نقلها ابن الأثير من الكشاف .

وقد كان تحليلات الزمخشرى التى نقلها ابن الأثير تروق للعلوى فيذكرها فى تحليل بعض سور الالتفات[2] .

(١) الطراز ٢ : ١٣٧ ، ١٣٨ ، ١٣٩ — (٢) البلاغة القرآنية : ٦٠١ .

ومع أن الالتفات قد تحددت معالمه ، ووضعت له الضوابط التى تمنع تداخله واختلاطه بالفنون البلاغية الأخرى ، وذلك على يد الإمام الزمخشرى ثم السكاكى ومدرسته ، فإن العلوى قد خلط بين الالتفات والتذييل كما فعل المتقدمون من العلماء قبل الزمخشرى . نذكر أن مما جاء فى الالتفات من الأبيات الشعرية قول جرير :

متى كان الخيام بذى طلوح سقيت الغيث أيتها الخيام

فهذا التفات من الغيبة إلى الخطاب[1] وهذا من التذييل الذى هو نوع من الإطناب .

وكان للعلامة العلوى على طريقة الزمخشرى والسكاكى فى الالتفات ، فقد رأى رأيهما فى أبيات امرىء القيس : (تطاول ليلك بالأثمد ؟ الأبيات) فذهب أن فيها التفاتات ثلاثة قد جمعها أمرؤ القيس فى هذه الأبيات[2] .

---

(١) الطراز ٢ : ١٤٠ (٢) الطراز ٢ : ١٤٠ .

صور أسلوب الالتفات عند البلاغيين

كانت الإشارة إلى صور الالتفات مبكرة ، سبقت إطلاق هذا الإسم على ذلك الفن البلاغى ، وسبقت أيضا البحث عن حقيقة الالتفات عند البلاغيين ، وكان أو من أشار إلى صور الالتفات أبو عبيدة معمر بن المثنى المتوفى سنة ٢١٠ هـ وذلك فى كتابه « مجاز القرآن » ، وقد أشار إلى صورتين من صوره المتعددة وهما الالتفات والخطاب إلى الغيبة ، والالتفات من الغيبة إلى الخطاب ، ومثل لهما بآيتين من القرآن الكريم ، ثم جاء ابن قتيبة المتوفى سنة ٢٧٦ هـ فذكر بعض صور الالتفات فى كتابه « تأويل مشكل القرآن » ، ثم جاء عبد الله ابن المعتز المتوفى سنه ٢٩٦ هـ فدرس بعض صور الالتفات فى كتابه « البديع » ، بعد ذلك جاء أحمد بن فارس المتوفى سنة ٣٩٥هـ يتبع ابن قتيبة فيما ذكره من صور الالتفات ، وقد تقدم الكلام عن ذلك فى « الالتفات فى دراسات المتقدمين » .

إن دراسة صور الالتفات عند العلماء المتقدمين لم تكن شاملة لكل صور هذا الفن البلاغى ، وأول من درس صور الالتفات دراسة بلاغية شاملة ، كاشفة عن سر وسبب الانتقال من أسلوب إلى أسلوب هو الإمام الزمخشرى فى تفسيره « الكشاف » .

فقد ذكر أربع صور للالتفات ، قال عند كلامه عن قوله تعالى : (إياك نعبد وإياك نستعين) : فإن قلت : لم عدل عن لفظ الغيبة الى لفظ الخطاب ؟ قلت : هذا يسمى الالتفات فى علم البيان ، وقد يكون من الغيبة إلى الخطاب

ومن الخطاب إلى الغيبة ومن الغيبة إلى التكلم ، . . . وقد التفت امرؤ القيس ثلاث التفات فى ثلاثة أبيات : (تطاول ليلك بالأثمد) الأبيات ، فقد صرح من أنواعه الستة عند البلاغيين المتأخرين الحاصلة من ضرب الثلاثة فى اثنين بثلاثة : أولها الانتقال من الغيبة إلى الخطاب ومثل له بقوله تعالى : (إياك نعبد وإياك نستعين) ، وثانيها : الانتقال من الخطاب إلى الغيبة ومثل له بقوله تعالى : (حتى إذا كنتم فى الفلك وجرين بهم) وثالثها : الانتقال من الغيبة إلى التكلم ، ومثل قوله تعالى : (والله الذى أرسل الرياح فتثير سحابا فسقناه) ، وأشار بقوله :وقد التفت أمرؤ القيس ، إلى نوع رابع هو الانتقال من التكلم إلى الخطاب فى (ليلك) وهذا النوع الرابع التفات عند الزمخشرى والسكاكى فقط ، أما عند جمهور البلاغيين فهو من قبيل التجريد كما تقدم .

واقتصر الزمخشرى رحمه الله على هذه الأربعة لأنها أكثر الأنواع وأشهرها .

. . . .

أما الإمام أبو يعقوب السكاكى فيرى أن للالتفات سبع صور ، قال رحمه الله : وأعلم أن هذا النوع — أعنى نقل الكلام عن الحكاية إلى الغيبة — لا يختص بالمسند إليه ولا بهذا القدر ، بل الحكاية والخطاب والغيبة ثلاثتها ينقل كل واحد منها إلى الآخر .

فعبارة السكاكى هذه يفهم منها أن التكلم والخطاب والغيبة مطلقا — أى سواء كان فى المسند إليه أو غيره ، وسواء كان كل منها واردا فى الكلام أو كان مقتضى الظاهر إيراده ، ينقل إلى الآخر ، فتصير الأقسام ستة حاصلة

من ضرب الثلاثة فى الإثنين ، أى من نقل كل واحد من الثلاثة إلى الآخرين ، فالثلاثة هى التكلم والخطاب والغيبة ، والاثنان ما بقى من الثلاثة بعد اعتبار أخذ واحد منها منقولا إلى غيره ، أما الصورة السابعة فهى أن يكون مقتضى الظاهر التعبير عن معنى بطريق من الطرق الثلاثة فعدل إلى الآخر .

وقد مثل لهذه الصورة بقول ربيعة بن مقروم :

بانت سعاد فأمسى القلب معمودا وأخلفتك ابنة الحر المواعيدا

فالتفت حيث لم يقل : وأخلفتنى .

أما الصور الست الأولى فهى : الالتفات من التكلم إلى الخطاب ، ومن التكلم إلى الغيبة ، ومن الخطاب إلى التكلم ، ومن الخطاب إلى الغيبة ، ومن الغيبة إلى التكلم ، ومن الغيبة إلى الخطاب ، وقد مثل السكاكى لكل هذه الصور (١) .

* * *

وصور الالتفات أو أقسامه عند ابن الأثير فى كتابه « المثل السائر » ثمانية ، وافق جمهور البلاغيين ، فى أربعة منها ، وخالفهم فى أربعة ، أما التى وافق الجمهور فيها فهى : الالتفات من الغيبة إلى الخطاب ، ومن الخطاب إلى الغيبة ، ومن الغيبة إلى التكلم ، ومن التكلم إلى الخطاب، وهذه الصورة الأخيرة سماها ابن الأثير الرجوع من خطاب النفس إلى خطاب الجماعة وقد مثل لها بقوله تعالى : (وما لى لا أعبد الذى فطرنى وإليه ترجعون) .

---

(١) ينظر المفتاح ٨٦ ، ٨٧

وقد سبق الكلام عن هذه الصور الأربع عند الحديث عن أقسام الالتفات عند ابن الأثير .

وقد أدخل الصورتين الأخيرتين فى القسم الأول من الأقسام الثلاثة التى ذكرها الالتفات ، وهذا القسم هو : الرجوع من الغيبة إلى الخطاب ، ومن الخطاب إلى الغيبة .

أما الصور الأربع الأخرى فهى : الرجوع عن الفعل المستقبل إلى فعل الأمر ، وعن الفعل الماضى إلى فعل الأمر ، وهاتان الصورتان قد أدرجهما ابن الأثير فى القسم الثانى من أقسام الالتفات .

والإخبار عن الفعل الماضى بالمستقبل ، والإخبار عن المستقبل بالفعل الماضى ، هاتان الصورتان قد شملهما القسم الثالث من أقسام الالتفات ، وقد تقدم الكلام عن هذين القسمين أيضاً ، وهذان القسمان — أو الصور الأربع من صور الالتفات — لم يجعلها أحد من البلاغيين من صور الالتفات ، وقد يعنون القسم الثالث وهو الإخبار عن الفعل الماضى بالمستقبل ، و لإخبار عن المستقبل بالماضى فى مبحث خروج الكلام على خلاف مقتضى الظاهر ، دون أن يطلقوا عليه كلمة « التفات » .

من التعبير عن المستقبل بلفظ الماضى يقول الخطيب : ومنه التعبير عن المستقبل بلفظ الماضى ، تنبيها على تحقق وقوعه ، وأن ما هو للواقع كالواقع كقوله تعالى : (ونفخ فى الصور ففزع من فى السموات ومن فى الأرض إلا من شاء الله) . . . جعل المتوقع الذى لا بد من وقوعه بمنزلة الواقع ، ومنه التعبير عن المستقبل باسم الفاعل كقوله تعالى : (وإن الدين لواقع)

وكذا اسم المفعول كقوله تعالى : (ذلك يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود)[١] .

أما التعبير عن الفعل الماضي بالمستقبل فقد ذكر البلاغيون أن الغرض البلاغي من ذلك هو استحضار الصورة ، ولم يطلقوا عليه : أيضاً كلمة « التفات » ، قال الخطيب : كما في قوله تعالى (والله الذي أرسل الرياح فتثير سحابا فسقناه إلى بلد ميت فأحيينا به الأرض بعد موتها) إذ قال (فتثير سحابا) استحضار لتلك الصورة البديعة الدالة على القدرة الباهرة . . . وكقول تأبط شراً :

ألا من مبلغ فتيان فهم ... بما لقيت عند رحا بسطان

بأني قد لقيت الغول تهوى ... بسهب كالصحيفة صحصحان

فقلت لها كلانا نضو أرض ... أخو سفر فخلي لي مكاني

فشدت شدة نحوي فأهويت ... لها كفي بمصقول يماني

فأضربها بلا دهش فخرت ... صريعاً لليدين وللجران

إذ قال : فأضربها، ليصور لقومه الحالة التي تشجع فيها على ضرب الغول، كأنه يبصرهم إياها ، ويتطلب منهم مشاهدتها ، تعجيباً من جراءته على كل هول ، وثباته عند كل شدة[٢] .

---

(١) ينظر الإيضاح : ٧٦ ، ٧٧

(٢) ينظر الإيضاح : ٩٦ ، ٩٧

وقد ذكر ابن الأثير فى كتابه « الجامع الكبير » أن الالتفات على ثمانية أقسام . من هذه الأقسام الثمانية قسمان لم يذكرهما فى كتابه « المثل السائر » أحدهما : الرجوع من خطاب التثنية إلى خطاب الجمع ، ومن خطاب الجمع إلى الواحد ، وقد مثل لذلك بقوله تعالى : (وأوحينا إلى موسى وأخيه أن تبوءا لقومكما بمصر بيوتاً واجعلوا بيوتكم قبلة وأقيموا الصلاة وبشر المؤمنين) قال : فإنه توسع فى هذا الخطاب فثنى ثم جمع ثم وحد فخاطب موسى وهارون فى ذلك عليهما السلام بالتبوء ، ثم ساق الخطاب لهما ولقومهما باتخاذ المساجد وإقامة الصلاة ، لأن ذلك واجب على الجمهور ، ثم خص موسى عليه السلام بالبشارة التى هى الغرض ، تعظيما له وتفخيماً لأمره لأنه الرســـول على الحقيقة[1] .

وثانيهما : عكس الظاهر وهو أن العرب قد توسعوا فى كلامهم وتجوزوا إلى غاية ، فيذكرون كلاما يدل ظاهره على معنى وهم يريدون به معنى آخر عكسه وخلافه . فمن ذلك قول على رضى الله عنه فى صفة مجلس رسول الله ﷺ أنه لا تثنى فلتاته ، أى لا تذاع ، فظاهر ذلك أن ثم فلتات غير أنها لا تذاع ، وليس المراد ذلك ، بل المراد أنه لم يكن ثم فلتات أصلا فتذاع ، وهذا مثل قول الشاعر :

لا ترى الضب بها ينجحر

أى ليس بها ضب فينجحر[2] .

---

(١) الفوائد المشوقة : ١٠١ ، ١٠٢ .

(٢) الفوائد المشوق : ١٠٤ .

. . . .

وإذا اتجهنا إلى الخطيب القزوينى فإننا نجده مع جمهور البلاغيين فى أن الالتفات هو التعبير عن معنى بطريق من الطرق الثلاثة بعد التعبير عنه بطريق آخر منها . ولم يرتض ما ذهب إليه الزمخشرى والسكاكى من أن الالتفات هو أن يعبر بطريق من هذه الطرق عما عبر عنه بغيره ، أو كان مقتضى الظاهر أن يعبر عنه بغيره منها .

وهذا يتضح من اقتصاره على التمثيل للالتفـــات بما يوافق مذهب جمهور البلاغيين .

قال رحمه الله : والمشهور عند الجمهور أن الالتفات هو التعبير عن معنى بطريق من الطرق الثلاثة بعد التعبير عنه بطريق آخر منها .

وهذا أخص من تفسير السكاكى ، لأنه أراد بالنقل أن يعبر بطريق من هذه الطرق عما عبر عنه بغيره أو كان مقتضى الظاهر أن يعبر عنه بغيره منها . فكل التفات عندهم التفات عنده ، من غير عكس .

وذكر الصور الست للالتفات عند الجمهور ومثل لها ، دون كشف عن سر وسبب الالتفات فيما مثل به . قال : مثال الالتفات من التكلم إلى الخطاب قوله تعالى : (وما لى لا أعبد الذى فطرنى وإليه ترجعون) . ومن التكلم إلى الغيبة قوله تعالى : (إنا أعطيناك الكوثر . فصل لربك وانحر) ومن الخطاب إلى التكلم قول علقمة بن عبدة :

طحابك قلب فى الحسان طروب بعيد الشباب عصر حان مشيب

يكلفنى ليلى وقد شط وليها وعادت عواد بيننا وخطوب

ومن الخطاب إلى الغيبة قوله تعالى : (حتى إذا كنتم فى الفلك وجرين بهم) ومن الغيبة إلى المتكلم قوله تعالى : (والله الذى أرسل الرياح فتثير سحابا فسقناه) ، ومن الغيبة إلى الخطاب قوله تعالى : (مالك يوم الدين . إياك نعبد وإياك نستعين)[1] .

---

(١) الإيضاح : ٧١ ، ٧٢ ،

كلمة أخيرة :

إن الترتيب الطبيعي لموضوعات هذا البحث كان يقتضي بعد الانتهاء من الحديث عن صور أسلوب الإلتفات عند البلاغيين ، أن يكون كلامنا عن فائدة الالتفات وأثره البلاغي ، ولكن لم نفعل ذلك لأننا تكلمنا أكثر من مرة في أكثر من موضوع عن القيمة البلاغية للالتفات . فقد تناولنا ذلك بإفاضة عند الكلام عن الإلتفات عند الزمخشري والسكاكي ، وابن الأثير ، والعلامة العلوي ، وتعرضنا لفوائده العامة والخاصة . ولم يبق هناك كلام يمكن أن يضاف إلى ما ذكرناه قبل ذلك .

والحمد لله رب العالمين حمد الشاكرين ، وصلاته وسلامه على صفوته من خلقه وعلى آله وصحبه أجمعين.

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

مصادر البحث ومراجعه

١ـ إعجاز القرآن ـ للباقلاني ـ دار المعارف بمصر ـ الطبعة الرابعة .

٢ ـ الإيضاح ـ للخطيب القزويني ـ مطبعة السنة المحمدية بالقاهرة .

٣ ـ البديع ـ لابن المعتز الحكمه ـ دمشق سوريا ـ

٤ ـ البرهان في علوم القرآن ـ للزركشي ـ الطبعة الثانية ـ دار المعرفة ـ بيروت لبنان

٥ ـ بغية الإيضاح ـ عبد المتعال الصعيدي ـ الطبعة السادسة ـ مكتبة الآداب بالقاهرة

٦ ـ البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري ـ للدكتور محمد أبو موسى ـ دار الفكر بالقاهرة

٧ ـ تأويل مشكل القرآن ـ لابن قتيبة ـ دار الكتب العربية بالقاهرة

٨ ـ شروح التلخيص ـ المطبعة الأميرية ببولاق ـ ١٣١٧ هـ

٩ ـ الصاحبي ـ أحمد بن فارس ـ طبع عيسى البابي الحلبي وشركاه بالقاهرة

١٠ ـ الصناعتين ـ لأبي هلال العسكري ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت لبنان

١١ ـ الطراز ـ للعلوي دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان

١٢ ـ العمدة ـ لابن رشيق ـ الطبعة الرابعة ـ دار الجيل ـ بيروت لبنان

١٣ ـ الفوائد المشوق إلى علوم القرآن وعلم البيان ـ لابن قيم الجوزية ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت لبنان

١٤ ـ الكشاف ـ للإمام محمود بن عمر الزمخشرى ـ مصور عن طبعة طهران

١٥ ـ المثل السائر فى أدب الكاتب والشاعر ـ لابن الأثير ـ المطبعة الأميرية ببولاق ١٢٨٢ هـ

١٦ ـ مجاز القرآن ـ لأبى عبيدة معمر بن المثنى ـ الطبعة الثانية ـ مكتبة الخانجى بالقاهرة

١٧ ـ مفتاح العلوم ـ لأبى يعقوب السكاكى ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت لبنان

١٨ ـ نقد الشعر ـ لأبى الفرج قدامة بن جعفر ـ دار الكتب العلمية بيروت لبنان

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

الفهرس

الموضوع	الصفحة
مقدمة	٥
تمهيد فى بيان حقيقة الإلتفات	٩
معنى الإلتفات عند البلاغيين	١٠
ما يشترط فى الإلتفات	١١
مذهب السكاكى فى الإلتفات	١٦
الفرق بين التجريد والإلتفات	١٧
الإلتفات من أى علوم البلاغة؟	١٨
الإلتفات فى دراسة المتقدمين	٢٠
أسلوب الإلتفات بين الزمخشرى والسكاكى	٢٩
حقيقة الإلتفات عندهما	٣٠
القيمة البلاغية لأسلوب الإلتفات عند الزمخشرى	٣١
أسلوب الإلتفات عند السكاكى	٣٦
القيمة البلاغية الالتفات عند السكاكى	٣٦
أسلوب الإلتفات عند ابن الأثير والعلامة العلوى	٤٠
حقيقة الإلتفات عند ابن الأثير	٤٠
فائدة الإلتفات بن الزمخشرى وابن الأثير	٤١
أقسام الإلتفات عند ابن الأثير	٤٦
أسلوب الإلتفات عند العلامة العلوى	٥٨
فائدة الإلتفات وأثره البلاغى	٦٠

الموضوع	الصحيفة
صور أسلوب الالتفات عند البلاغيين	٦٥
صور الإلتفات عند المتقدمين	٦٥
صور الإلتفات عند الزمخشرى	٦٦
صور الإلتفات عند السكاكى	٦٦
صور الإلتفات عند ابن الأثير	٦٧
صور الإلتفات عند الخطيب القزوينى	٧١
فهرس مصادر البحث ومراجعه	٧٧

مطبعة دار البيان بمصر
ت ٩٢٨٦١٩

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

www.moswarat.com

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com